حَوْلِيَّةُ سِمِنَارِ التَّارِيخِ الإِسْلَامِيِّ وَالْوَسِيط

١٠

الجمعية المصرية للدراسات التاريخية
رئيس مجلس الإدارة
أ.د. أيمن فؤاد سيد

الهيئة المصرية العامة للكتاب
رئيس مجلس الإدارة
أ.د. أحمد بهي الدين العسّاسي

حَوْلِيَّةُ سِمِنَارِ التَّارِيخِ الإِسْلَامِيِّ وَالْوَسِيط

مجلة سنوية محكمة تعنى بالتاريخ الإسلامي والوسيط
يصدرها سمنار التاريخ الإسلامي والوسيط
بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية

كل الحقوق محفوظة
للهيئة المصرية العامة للكتاب

الترقيم المطبوع
2735-3923

رقم الإيداع بدار الكتب
2013/18750

الترقيم الإلكتروني
2735-4725

موقع المجلة على بنك المعرفة:
hsew.journals.ekb.eg

٢٠٢٢م

قطعة ٤ بلوك ٧ – المنطقة التاسعة – شارع د. رؤوف عباس- مدينة نصر – القاهرة
تليفون: ٠١١٢٧٣٨١٩١٢ – ٢٧٤٢٨٢٩١ – ٢٧٤٢٨٢٩٦ – فاكس ٢٤٧٢٨٢٩٨

Email: Seehist1945@yahoo.com

الهيئة المصرية العامة للكتاب

حَوْلِيَّةُ سِمِنَارِ
التَّاريخِ الإسلاميَّ والوسيط

مَجلة عِلميَّة مُحَكَّمة

تُصْدرها

الجمعية المصرية للدِّراسات التاريخية

المراسلات : الأستاذ الدكتور أيمن فؤاد سيد

رئيس مجلس إدارة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية

eegyptian.historical2021@gmail.com

العدد العاشر

القاهرة

١٤٤٤هـ / ٢٠٢٢م

رئيس مجلس الإدارة أ.د. أيمن فؤاد سيد

هيئة التحرير

رئيس التحرير: أ.د. حسين سيد عبدالله مراد

مديـر التحرير: د. محمد فوزي رحيل

أ.د. صلاح الدين علي عاشور

أ.د. عبير زكريا سليمان

أ.د. نهلة أنيس مصطفى

د. عبدالناصر إبراهيم عبدالحكم

الهيئة الاستشارية الدولية

أ.د. إبراهيم عبدالمنعم سلامة (مصر)

أ.د. اسحق تاوضروس عبيد (مصر)

أ.د. حاتم عبدالرحمن الطحاوي (مصر)

أ.د. عبدالقادر بوباية (الجزائر)

أ.د. عبدالله بن سعيد الغامدي(السعودية)

أ.د. عبدالهادي ناصر العجمي (الكويت)

أ.د. عفاف سيد صبرة (مصر)

أ.د. فتحي عبدالفتاح أبو سيف (مصر)

ا.د. قاسم حسن السامرائي (العراق)

ا.د. لطفي بن ميلاد (تونس)

أ.د. محمد أحمد بديوي (مصر)

أ.د. محمد عيسي الحريري (مصر)

أ.د. محمد الناصر صديقي (تونس)

Prof. Dr. Albrecht Fuess (Germany)

Prof. Dr. Sylvie Denoix (France)

Prof. Dr. Tetsuya Ohtoshi (Japan)

المحرر الفني أ. ياسر السيد عبدالعزيز

الآراء الواردة بهذه المجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها
ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الجمعية أو السمنار أو الناشر

شروط النشر بالحولية

- ترحب الحولية بنشر البحوث العلمية المبتكرة في التاريخ الإسلامي والوسيط باللغتين العربية والإنجليزية.
- يفضل أن يكون البحث في حدود ٣٥ صفحة، بما في ذلك الحواشي اللازمة والملاحق وقائمة المصادر والمراجع.
- ترسل البحوث على موقع الحولية على بنك المعرفة ولن يلتفت إلى الأبحاث التي ترسل عن طريق آخر.
- يرفق الباحث مع البحث سيرة علمية مختصرة (CV)، وملخصًا للبحث باللغة العربية ولغة أجنبية في حدود (١٥٠) كلمة لكل منهما والكلمات المفتاحية.
- يقدم الباحث إقرارًا كتابيًّا بأن البحث لم يسبق نشره في أي مجلة علمية أو غيرها، وعدم الدفع به إلى النشر في جهات أخرى بعد موافقة الحولية على نشره.
- تقدم الخرائط والأشكال والرسوم البيانية بأصولها الصالحة للطباعة، وفي حال رغبة الباحث نشرها ملونة يلتزم بدفع تكاليفها.
- تتمتع الحولية بحق الملكية الفكرية للبحوث التي تنشرها، ويمكن للباحث إعادة نشر بحثه في جهة أخرى بعد مرور خمس سنوات على النشر بالحولية، وبموجب أذن كتابي من رئيس تحرير الحولية.

- لا تقبل الحولية البحوث التي سبق نشرها في أي مجلة علمية أو غيرها.
- توضع الهوامش مرتبة بطريقة متسلسلة في أسفل البحث.
- تخضع البحوث قبل النشر للتحكيم العلمي على نحو سري (معمي).
- يتم تقويم البحث وفقًا للعناصر التالية:
  - أن يكون البحث مبتكرًا، ومضمونه متكامل علميًّا.
  - وضوح المنهج، وملائمته لموضوع البحث.
  - رعاية الإخراج العلمي وتوزيع عناصر البحث.
  - سلامة اللغة ووضوح الصياغات والعبارات.
  - كفاءة المراجع وصحة التوثيق، وسلامة الهوامش، ودقة استخدام المصادر والمراجع.
- البحوث التي يقترح المحكمون إجراء تعديلات عليها تعاد إلى أصحابها لإجرائها، حتى وإن كانت طفيفة، وفي حال ما إذا رأت الحولية عدم نشر البحث، تخطر صاحبه بالاعتذار عن عدم النشر مع بيان الأسباب.

مُقَدِّمَة

تسعد أسرة تحرير حولية سيمنار التاريخ الإسلامي والوسيط بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية، أن تقدم لكل المهتمين بالدراسات التاريخية وكافة القراء، العدد العاشر من الحولية. والذي يضم أبحاثًا معظمها حصيلة الموسم الثقافي للسيمنار لعام ٢٠٢٢م، والذي شارك فيه عدد من المؤرخين المتميزين في حقل دراسات التاريخ الإسلامي والوسيط.

ويتضمن هذا العدد تسعة أبحاث مهمة طبقت الشروط العلمية للنشر، وتنوعت؛ فعرض بعضها للتاريخ السياسي والبعض الآخر عرض للتاريخ الحضاري، ثلاثة منها في التاريخ الوسيط، وستة في التاريخ الاسلامي وحضارته.

وترحب أسرة الحولية بنشر بحوث السادة الأساتذة المؤرخين في الجامعات المصرية والعربية، كما تفتح صفحاتها لشباب الباحثين، أصحاب الدراسات التاريخية الجادة المستوفاة للشروط العلمية للنشر.

وتأمل هيئة تحرير الحولية بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية أن يحوز هذا العدد على قبول كل المهتمين بالدراسات التاريخية. والشكر واجب لكل الزملاء الذين شاركوا ببحوث جادة في هذا العدد.

وحتى تستمر الحولية في أداء رسالتها في خدمة البحث التاريخي خاصة التاريخ الإسلامي والوسيط، تستقبل الحولية مشاركات الباحثين للنشر في العدد القادم.

والله ثم الوطن العزيز من وراء القصد...

رئيس التحرير

أ.د. حسين مراد

مدير التحرير

د. محمد فوزي رحيل

المحتويات

(العدد العاشر ٢٠٢٢)

١- الرِّعَايَة الصِّحِّيَّةِ فِي الْمُؤَسَّسَاتِ الرَّهْبَانِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ وَآثَارِهَا الِاجْتِمَاعِيَّةِ فِي الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْمِيلَادِيِّ ..... ١١ - ٩٤

د. هاني مهدي راتب زحير

٢- مَوْقِفُ الْبِيزَنْطِيِّينَ مِنْ الْوَثَنِيَّةِ فِي الْقَرْنِ السَّادِسِ الْمِيلَادِيِّ ٩٥ - ١٤٠

د. سهام محمد عبد العظيم

٣- سِيَاسَة الْبَابَا لِيُو الرَّابِعَ تجَاهِ هَجَمَاتِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى رُومَا (٨٤٧- ٨٥٥م/٢٣٣- ٢٤١هـ) ١٤١-١٨٨

د. بدران عبدالونيس محمد

٤- تَوْقِيتُ السَّاعَاتِ الْيَوْمِيَّةِ عِنْدَ الْعَرَبِ وَاسْتِخْدَامِهِ فِي ضَبْطِ مَوَاقِيتِ مَجْمُوعَةٍ مِنْ أَحْدَاثِ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ مُنْذُ الْبَعْثَةِ النَّبَوِيَّةِ حَتَّى وَفَاةِ الرَّسُولِ (ﷺ) (١٣ ق.هـ- ١١هـ/٦٠٩-٦٣٢م) دِرَاسَةٍ تَحْلِيلِيَّةٍ..... ١٨٩-٢٢٧

د.طارق أبو الوفا

٥- بَصرةُ الْمَغْرِب ..... ٢٢٩ - ٢٩١

أ.د. نريمان عبد الكريم أحمد

٦- مَدِينَة أَرَّجَانْ فِي الْعَصْرِ اَلْبُوَيهِيِّ «دِرَاسَةٌ فِي أَوْضَاعِهَا السِّيَاسِيَّةِ وَالْحَضَارِيَّةِ» (٣٣٤-٤٤٧هـ/ ٩٤٥-١٠٥٥م) ..... ٢٩٣ - ٤٢٦

د. محمد زين العابدين محمد مريكب

٧- اَلِانْحِرَاف اَلِاجْتِمَاعِيِّ عِنْدَ سَلَاطِينِ اَلدَّوْلَةِ اَلْغِزْنَوِيَّة (٣٥١-٥٨٢هـ/ ٩٦٢-١١٨٦م) ٤٢٧-٤٦٠

د. عبدالناصر عبدالحكم

٨- سِينُوب.. دِرَاسَةٌ فِي أَوْضَاعِهَا اَلسِّيَاسِيَّةِ وَالتِّجَارِيَّةِ عَصْر سَلَاجِقَةِ اَلرُّوم (٦١١- ٧٢٢هـ/١٢١٤-١٣٢٢م) ..... ٤٦١ - ٥٦٠

د. أشرف سمير توفيق محمد

٩- ظَاهِرَة تَدْخِينِ اَلتَّبَغِ فِي مُجْتَمَعِ اَلسُّودَانِ اَلْغَرْبِيِّ مُنْذُ اَلرُّبْعِ اَلْأَخِيرِ مِنْ اَلْقَرْنِ اَلتَّاسِعِ لِلْهِجْرَةِ حَتَّى سُقُوطِ مَمْلَكَةِ صنْغي اَلْإِسْلَامِيَّةَ ..... ٥٦١ - ٦١٤

د. بطل شعبان محمد غرياني

حَوْلِيَّةُ سِمِنَارِ التَّارِيخِ الإِسْلَامِيِّ وَالْوَسِيط ١٠ (٢٠٢٢)، ٥٦١ – ٦١٤

ظَاهِرَة تَدْخِينِ اَلتَّبَغِ فِي مُجْتَمَعِ اَلسُّودَانِ اَلْغَرْبِيِّ مُنْذُ اَلرُّبْعِ اَلْأَخِيرِ مِنْ اَلْقَرْنِ اَلتَّاسِعِ لِلْهِجْرَةِ حَتَّى سُقُوطِ مَمْلَكَةِ صُنْغي اَلْإِسْلَامِيَّةَ

TOBACCO SMOKING IN WESTERN SUDAN SOCIETY FROM THE LAST QUARTER OF THE NINTH- CENTURY AH UNTIL THE FALL OF THE ISLAMIC KINGDOM OF SONGHAY

د. بطل شعبان محمد غرياني [١]

Dr. Batal Shaban Mohammed Gheriany

ملخص

تعد بلاد السودان الغربي أقدم البلاد الإسلامية التي عرفت تدخين التبغ على أثر جلب البرتغاليين لهذا النبات وبذوره إلى تلك البلاد منذ أواخر القرن التاسع للهجرة/الخامس عشر للميلاد، فأصبح يزرع فيها، وصارت مصدرًا للتبغ، ومنها وصل إلى بلاد المغرب ثم إلى مصر وغيرها من البلدان الإسلامية، وأخذت الظاهرة تنتشر باضطراد بين أوساط المجتمع السوداني؛ مما أثار الجدل الفقهي حولها. غير أن إثارة الجدل آنذاك لا تعني أبدًا بداية ظاهرة تدخين التبغ في بلاد السودان الغربي، فمن خلال الرجوع إلى المصادر المخطوطة والمطبوعة

(١) أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد، كلية الدراسات الأفريقية العليا، جامعة القاهرة.

Assistant Professor of Islamic History, Faculty of African Postgraduate Studies, Cairo University

يلاحظ أن بعضها يؤرخ لبداية الظاهرة في بلاد السودان الغربي بعام ١٠٠٠هـ، بينما أشار بعضها الآخر إلى وقوع الظاهرة في حدود عام ١٠٠٥هـ/١٥٩٦م.

وبالرجوع إلى بعض تقارير الحفائر الآثارية التي أجريت في بعض المواقع في مدن تنبكت، وجني، وجاو التي كانت جميعها مراكز حضرية مهمة في بلاد السودان الغربي؛ يتبين أن وجود التبغ في تلك البلاد أقدم من عام ١٠٠٠هـ أو ١٠٠٥هـ الذي حددته بعض المصادر، فأقدم اكتشاف للتبغ وفقًا لتلك التقارير يعود إلى العقد الأول من القرن العاشر للهجرة، وتحديدًا عام ٩٠٥هـ/١٥٠٠م، وبالتالي فإن الظاهرة قديمة في مجتمع السودان الغربي، وهي تسبق هذا الاكتشاف، كما إنها تسبق الأسئلة التي أثيرت حولها بفترة تزيد عن قرنٍ من الزمان على النحو الذي سيبينه البحث.

من هذا المنطلق، **يسعى هذا الموضوع** للبحث عن بداية ظاهرة تدخين التبغ في بلاد السودان الغربي وتتبع تلك الظاهرة حتى نهاية عهد مملكة صنغي، وفقًا لما ورد في المصادر التاريخية والفقهية المتاحة، بالإضافة إلى الاستفادة مما قدمته تقارير الحفائر من معلومات مهمة في هذا الصدد، ثم يتطرق البحث لرصد آثار ظاهرة تدخين التبغ في مجتمع السودان الغربي، وأخيرًا نعرض للجدل الفقهي حول حكم تدخين التبغ مع التركيز بوجهٍ خاص على رأي علماء بلاد السودان الغربي في المسألة.

Abstract

Western Sudan is the oldest Islamic country that knew tobacco smoking after the Portuguese brought this plant and its seeds to those countries since the late ninth century AH/ fifteenth AD; So it was grown in it, and it became a source of tobacco, from which it reached the countries of the Maghreb and then to Egypt and other Islamic countries. The phenomenon began to spread steadily among the Sudanese society; which sparked a jurisprudential controversy around it. However, raising controversy at that time does not mean the beginning of the phenomenon of tobacco smoking in Western Sudan. By referring to the manuscript and printed sources, it is noted that some of them date the

beginning of the phenomenon in Western Sudan in the year 1000 AH, while others indicated that the phenomenon occurred within the year 1005 AH/ 1596 AD.

With reference to some reports of archaeological excavations that were carried out at some sites in the cities of Timbuktu, Jenni, and Gao, all of which were important urban centers in Western Sudan; It turns out that the presence of tobacco in those countries is older than the year 1000 AH or 1005 AH, which was determined by some sources. This discovery, and it predates the questions that have been raised about it by more than a century, as the research will show.

From this point of view, this topic seeks to search for the beginning of the phenomenon of tobacco smoking in the countries of Western Sudan and trace that phenomenon until the end of the era of the Kingdom of Songhai, according to what was mentioned in the available historical and jurisprudential sources, in addition to benefiting from the important information provided by the excavation reports in this regard, then The research deals with monitoring the effects of the phenomenon of tobacco smoking in Western Sudan society, and finally we present the jurisprudential debate about the ruling on tobacco smoking, with a special focus on the opinion of Western Sudan scholars on the issue.

مقدمة:

أثارت ظاهرة تدخين أوراق التبغ جدلًا واسعًا بين عدد من العلماء في مشرق العالم الإسلامي ومغربه، بالإضافة إلى علماء بلاد السودان الغربي[1]

(١) أطلق الجغرافيون والمؤرخون المسلمون مصطلح "بلاد السودان" على كل بلدان أفريقيا جنوب الصحراء الواقعة جنوب بلاد المغرب الإسلامي، وشاعت هذه التسمية نتيجة للون البشرة. انظر، ابن رسته: الأعلاق النفيسة، ليدن، ١٨٩٢، ص٩٩؛ الاصطخري: المسالك والممالك، تحقيق محمد صابر عبدالعال، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، القاهرة،١٩٦١، ص٣٥؛ الوارجلاني: الدليل والبرهان، تحقيق سالم بن حمد الحارثي، وزارة التراث القومي =

Western Sudan (غربي أفريقيا حاليًا). وقد قام بتلك البلاد عدد من الممالك

= والثقافة، سلطنة عمان، ١٩٨٣، ج٣، ص٢٨٢-٢٨٣؛ ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، وضع المتن والحواشي خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٠، ج٦، ص٢٦٤، وما بعدها.

وقد قسم المؤرخون المحدثون تلك البلاد إلى ثلاثة أقسام هي: **السودان الغربي** ويقصد به المنطقة التي تقع جنوب الصحراء الكبرى والممتدة بين المحيط الأطلنطي غربًا وبحيرة كوري (بحيرة تشاد) شرقًا. وتمثل هذه المنطقة المجال الموازي لبلاد المغرب وتفصل بينهما الصحراء الكبرى. انظر البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت، ص ١٧٣، ١٧٧؛ ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٠، ص ١٠.

أما **السودان الأوسط** فيشمل المناطق المحيطة ببحيرة تشاد، حيث تحده الصحراء الكبرى من الشمال عند خط عرض ٢٢ شمالًا، وفى الجنوب تحده الغابات الاستوائية عند خط عرض ١٠ شمالًا، وفي الشرق يحده إقليم دارفور عند خط طول ١٠ شمالًا، أما فى الغرب فتحده ممالك الهوسا عند خط طول ١٥. وقد قامت فى هذا القسم من بلاد السودان عدة ممالك من أبرزها مملكة كانم ومملكة برنو التى كانت لها علاقات وصلات تجارية مع الدولة الحفصية، وقد أخضعت هذه المملكة العديد من الأقاليم والمدن تحت سيطرتها التى امتدت فى الشمال إلى منطقة فزان. العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨، ص٤٧؛ ابن خلدون: مصدر سابق، ج١، ص١٩٩؛ محمد السنوسي العمراوي: نظام الحكم والإدارة بمملكة صنغي في عهد الأساكي ٨٩٨ – ١٠٠٠هـ/١٤٩٣ – ١٥٩١م، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، ٢٠١١، ص ٤، ٥.

بينما يشمل **السودان الشرقى** فى الوقت الحاضر كل جمهورية السودان وجزءًا من أوغندا الشمالية. ويمتد من البحر الأحمر فى الشرق إلى حدود إقليم دارفور فى الغرب، ويضم الحد الأعلى والأوسط لنهر النيل، أما فى الشمال فتحده الصحراء الكبرى وحدوده الجنوبية عند خط عرض ١٥ شمالًا. الشيخ الأمين عوض الله: العلاقات بين المغرب والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين مالي وصنغي، دار المجمع العلمي، جدة، ١٣٩٨هـ/١٩٧٩م، ص٤١؛ عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٠، ص١٥.

الإسلامية المهمة، أبرزها مملكة غانة[١]، ومملكة مالي[٢] وأخيرًا مملكة صُنغي[٣]، آخر تلك الممالك الإسلامية التي سقطت أمام الغزو السعدي عام ١٠٠٠هـ/١٥٩١م.

كانت بلاد السودان الغربي أقدم البلاد الإسلامية التي عرفت تدخين التبغ على أثر جلب البرتغاليين لهذا النبات وبذوره إلى تلك البلاد منذ الربع الأخير من القرن التاسع للهجرة/الخامس عشر للميلاد، فأصبح يزرع فيها، وصارت

---

(١) غانة بفتح الغين المعجمة، وألف، ثم نون مفتوحة، وهاء في آخرها. هي بلد بأرض السودان، وليست هي غانا الحديثة التي تحمل هذا الاسم حاليًا، إذ أن غانا الحديثة كانت تسمى ساحل الذهب، ثم تسمت باسم غانا تيمنًا بمملكة غانة الإسلامية؛ فهي تقع على بعد نحو ألف ميل جنوبي غانة القديمة. أما موقع غانة القديمة فهو محل خلاف، وقد ورد في المصادر أنها مدينتان على ضفتي نيلها، إحداهما يسكنها المسلمون والثانية يسكنها الكفار، انظر البكري: مصدر سابق، ص ١٧٥. انظر الخريطة بالملاحق.

(٢) أنشئت مملكة مالي على يد شعب الماندنجو، وكان أول ملوكها سندياتا كيتا (٦٢٨-٦٥٣هـ/١٢٣٠-١٢٥٥م) الذي حارب الصوصو وانتصر عليهم، فكان هو المؤسس الحقيقي للمملكة. غير أن منسا موسى يعد من أشهر ملوك مالي قاطبة، وفي عهده امتدت رقعة مالي بين نهر السنغال في الغرب وبحيرة تشاد في الشرق وشملت خمسة أقاليم هي: مالي، وغانة، وكوكو، وصوصو، وتكرور (السنغال)، انظر ابن خلدون: مصدر سابق، ج٦، ص٢٦٦- ٢٦٨. انظر الخريطة بالملاحق.

(٣) قامت مملكة صنغي الأولى في إقليم دندي على نهر النيجر الأدنى، وكان أول ملوكهم من أسرة الأزواء والذين اتخذوا من مدينة كوكيا عاصمة لهم ويرجع السعيدي أصول هذه الأسرة إلى اليمن. وقد حكم المملكة من هذه الأسرة واحد وثلاثون ملكًا منهم أربعة عشر كانوا على الوثنية، والباقون على الإسلام وقد ازدهرت المملكة في عهد هذه الأسرة، ثم حكمت أسرة آل سني مملكة صنغي، وبعدها أسرة الأساكي التي ظلت تحكم المملكة حتى سقوطها أمام الغزو السعدي. انظر: ملوك السودان أهل سغي وقصصهم وأخبارهم وغزواتهم وذكر تنبكت ونشأتها ومن ملكها من الملوك، تحقيق هوداس وبنوا، مطبعة أنجي، باريس، ١٨٩٨، ص٣؛ حسين مراد: مملكة صنغاي، مجلة قراءات أفريقية، العدد الثالث عشر، رجب-رمضان ١٤٣٣/ يوليو-سبتمبر ٢٠١٢، ص١٣. انظر الخريطة بالملاحق.

مصدرًا للتبغ، ومنها وصل إلى بلاد المغرب ثم إلى مصر وغيرها من البلدان الإسلامية، وأخذت هذه الظاهرة تنتشر باضطراد بين أوساط المجتمع السوداني؛ مما دفع الفقيه محمد بن عبد الرحمن (٩٥٢-١٠١٦هـ/١٥٤٥-١٦٠٧م)[١] قاضي مدينة تنبكت[٢]، لإثارة هذه المسألة عام ١٠٠٥هـ/١٥٩٦م حينما أرسل رسالة إلى شيخ المالكية بمصر الفقيه سالم السنهوري[٣] (٩٤٥-

(١) تولى قضاء تنبكت في أوائل شهر صفر عام ١٠٠٢ هـ/١٥٩٣م وكان عمره خمسين عامًا، خلفًا للقاضي أبي حفص عمر بن محمود (٩٩٣-١٠٠٢هـ/١٥٨٥-١٥٩٣م). وقد قلده القضاء الباشا محمود بن زرقون (١٠٠٠-١٠٠٣هـ/١٥٩١-١٥٩٤م). ومكث في القضاء أربع عشرة سنة. وقد كان "من أجود الناس وأكرمهم وأوسعهم قلبًا وجودًا وكرمًا". انظر محمود كعت: تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار، دراسة وتعليق آدم بمبا، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ٢٠١٤، ص ٢٩٨؛ السعيدي: مصدر سابق، ص٣٠٨.

(٢) أنشئت هذه المدينة في القرن ٥هـ/١١م على أيدي قبائل طوارق مقشرن. وتقع في أول إقليم السودان الغربي على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى، وموقعها على الضفة اليسرى لنهر النيجر على بعد ستة عشر ميلًا منه، وهي بذلك تقع بين الصحراء الكبرى والساحل السوداني الغربي الشمالي، وبذلك الموقع المتميز شكلت نقطة التقاء مهمة بين بلدان شمال الصحراء الكبرى وجنوبها. انظر السعيدي: مصدر سابق، ص٢١؛ عبد الحميد جنيدي: مدينة تنبكت (تمبكتو) نشأة المدينة وتطورها، دورية كان التاريخية، السنة ٥، العدد ١٦، يونيو ٢٠١٢، ص ١١٢. وقد ذاع صيت تنبكت في العالم الإسلامي، واشتهرت بعلمائها، وفي ذلك يقول عنها المؤرخ السوداني عبد الرحمن السعيدي: "ما دنستها عبادة الأوثان ولا سُجِد على أديمها قطُّ لغير الرحمن، مأوى العلماء والعابدين، ومألف الأولياء والزاهدين، وملتقى الفلك والسيار". انظر: ملوك السودان، ص ٢٠، ٢١. انظر موقعها على الخريطة بالملاحق.

(٣) هو أبو النجا سالم بن محمد عز الدين بن محمد ناصر الدين السنهوري المصري المالكي، الإمام الكبير المحدث، كان مفتي المالكية ورئيسهم في عصره، ولد بقرية سنهور إحدى قرى مصر، ثم انتقل إلى القاهرة وتلقى العلم على النجم الغيطي، والشمس محمد البنوفري، وأدرك الناصر اللقاني. وأخذ عنه البرهان اللقاني، والنور الأجهوري، والخير الرملي، والشمس البابلي، وغيرهم. وله مؤلفات كثيرة منها: حاشية على مختصر الشيخ خليل في =

١٠١٥هـ/١٥٣٨-١٦٠٦م) يسأل فيها عن حكم تدخين التبغ.

ومن هنا ثار الجدل، واختلف العلماء بين من يجيز زراعة التبغ وتدخين أوراقه، ومن يحرم ذلك. ومن ثم تعد ظاهرة تدخين التبغ أحد أبرز الظواهر التي طرأت في مجتمع السودان الغربي في الفترة الزمنية المحددة للبحث، ومثلت تلك الظاهرة قاسمًا مشتركًا ومظهرًا من مظاهر التواصل بين السودان الغربي وبلدان العالم الإسلامي مع نهاية القرن العاشر للهجرة. غير أن إثارة الجدل آنذاك لا تعني بداية ظهور ظاهرة تدخين التبغ في بلاد السودان الغربي عامة ومملكة صنغي خاصة التي انتهى عهدها الإسلامي بالتزامن مع إثارة الجدل حول ظاهرة تدخين التبغ.

وعلى ذلك فإن **الفترة الزمنية لهذا البحث** تبدأ من الربع الأخير للقرن التاسع للهجرة، وحتى سقوط مملكة صُنغي، فهي الفترة التي شهدت بداية ظهور ظاهرة تدخين التبغ واستمرت الظاهرة في التفشي في مجتمع السودان الغربي حتى سقوط مملكة صُنغي عام ١٠٠٠هـ/١٥٩١م على أثر الغزو السعدي المغربي. وبسقوطها ينتهي العصر الإسلامي في بلاد السودان الغربي ويبدأ العصر الحديث بحكم الباشوات المغاربة السعديين.

من هذا المنطلق، **يسعى هذا الموضوع** للبحث عن بداية ظاهرة تدخين التبغ في بلاد السودان الغربي وتتبع تلك الظاهرة حتى نهاية عهد مملكة صنغي، وفقًا لما ورد في المصادر التاريخية والفقهية المتاحة، بالإضافة إلى

= الفقه، ورسالة في ليلة النصف من شعبان، وشرح رسالة الوضع. توفي سنة ١٠١٥هـ بعد أن بلغ من العمر سبعين عامًا. أحمد بابا: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق الدكتور علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠٤، ج١، ص١٩١؛ النبتيتي: الدرر البهية في حل ألفاظ الرحبية، تحقيق مصطفى القليوبي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٦، ص٤٨، ٤٩؛ المحبي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار صادر، بيروت، ١٩٨٤، ج٢، ص٢٠٤.

الاستفادة مما قدمته تقارير الحفائر من معلومات مهمة في هذا الصدد، ثم يتطرق البحث لرصد آثار ظاهرة تدخين التبغ في مجتمع السودان الغربي، وأخيرًا نعرض للجدل الفقهي حول حكم تدخين التبغ مع التركيز بوجهٍ خاص على رأي علماء بلاد السودان الغربي في المسألة.

وتعتمد الدراسة على **عدد مهم من المصادر** المخطوطة والمطبوعة والتي تضمنت الفتاوى المتداولة حول ظاهرة تدخين التبغ في صُنغي "بلاد السودان"، هذا فضلًا عن عدد من تقارير الحفائر الآثارية، وخاصة تلك التي اشتملت على مكتشفات لبقايا من أنابيب تدخين التبغ في بعض مواقع الحفائر التي أجريت في مدن تنبكت، وجني[١]، وجاو[٢] التي كانت جميعها

---

(١) تقع مدينة جنى على مسافة مائتى ميل إلى الجنوب الغربى من مدينة تنبكت على الضفة اليسرى لنهر بانى أحد روافد نهر النيجر، ويرجع تاريخ قيام هذه المدينة إلى عام ٤٣٥هـ/١٠٤٣م، ونشأت في موقع متميز جعلها ملتقى تجار الشمال والجنوب الغربي، وقدر لها أن تصبح مركزًا تجاريًا وثقافيًا مهمًا في بلاد السودان الغربي، انظر السعيدي: مصدر سابق، ص١١؛ محمد ألفا جالو: الحياة العلمية في دولة صنغاي خلال الفترة ٨٤٢-١٠٠٠هـ/ ١٤٦٤-١٥٩١م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٣هـ، ص ١٠٤، ١٠٥. انظر موقعها على الخريطة بالملاحق.

(٢) تقع مدينة جاو على المنحنى الكبير لنهر النيجر في جمهورية مالى حاليًا، أسسها الأجداد الأوائل لقبيلة الصُنغى في أوائل القرن الأول للهجرة/ السابع للميلاد، وأصبحت عاصمة لمملكة صُنغى خلال القرنين التاسع والعاشر للهجرة/ الخامس عشر- والسادس عشر- للميلاد. وامتازت بوقوعها عند ملتقى طرق التجارة البرية والنهرية؛ فغدت من أهم مراكز التجارة العابرة للصحراء الكبرى خلال العصر الإسلامى. انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧، مجلد٤، ص٤٩٥؛ الوزان: وصف أفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجى ومحمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ودار الغرب الإسلامى، بيروت، ط٢، ١٩٨٣، ج٢، ص١٦٩؛ بطل شعبان محمد: الصلات التجارية لمدينة جاو من خلال تقارير الحفائر الآثارية دراسة للفترة من القرن ٤-٦هـ/١٠-١٢م، حولية كلية الآداب، جامعة بنى سويف، المجلد٩، الجزء٢، ٢٠٢٠، ص٥٦٣، ٥٦٤. انظر موقعها على الخريطة بالملاحق.

مراكز حضرية مهمة في بلاد السودان الغربي، وهذه التقارير يعود أقدمها إلى العقد الأول من القرن العاشر للهجرة.

أما عن **الدراسات السابقة**، فلا توجد أية دراسة تتناول هذا الموضوع في بلاد السودان الغربي، بينما دُرس الموضوع في المغرب الأقصى، حيث خصص له الأستاذ الدكتور محمد حجي فصلًا بعنوان "استعمال التبغ" في كتاب "الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين"، عرض فيه للظاهرة وركز على الجدل الفقهي حولها في بلاد المغرب خلال القرن الحادي عشر للهجرة(١). كما تحدث الدكتور مصطفى نشاط(٢) عن ظاهرة تدخين التبغ في المغرب الإسلامي في بضع صفحات من كتابه "جوانب من تاريخ المشروبات المسكرة بالمغرب الوسيط". كما تناول هذا الموضوع في بلاد المغرب أيضًا الدكتور لحسن اليوبي في كتابه "الفتاوى الفقهية في أهم القضايا من عهد السعديين إلى ما قبل الحماية"، حيث تناول في الفصل الثاني من هذا الكتاب إنكار ظاهرة تدخين التبغ(٣).

أولًا- بداية ظاهرة تدخين التبغ في مجتمع السوادن الغربي:

من الضروري قبل الحديث عن بداية الظاهرة أن نوضح المسميات المختلفة للدخان، فالأصل في التسمية هو الدخان، وقد غلبت هذه التسمية في المشرق الإسلامي(٤)، وهناك مسميات أخرى للدخان في المشرق والمغرب

---

(١) انظر: الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، مطبعة فضالة، المغرب، ١٩٧٦، ج١، الفصل الثالث ص٢٤٦- ٢٦٦.

(٢) جوانب من تاريخ المشروبات المسكرة بالمغرب الوسيط، منشورات الزمن، المملكة المغربية، ٢٠٠٦، ص١٠٣- ١٠٥.

(٣) الفتاوى الفقهية في أهم القضايا من عهد السعديين إلى ما قبل الحماية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٩٩٨، الفصل الثاني: ص٣٢٥- ٣٥٨.

(٤) إبراهيم اللقاني: نصيحة الإخوان باجتناب الدخان، مخطوطة محفوظة بالمكتبة المركزية، جامعة الإمام محمد بن سعود، المملكة العربية السعودية، تحت رقم ٥٠٣٣، ورقة ١، ٢.

الإسلامي على السواء، منها: الطابعة، والشياك، والتابغة[١]، و"التبغ"[٢]، وهو أشهرها، و"تابغا"، و"تاباغا" بالتاء[٣]، و"طابغا" بالطاء، والبعض يسميه: "التُتُن"[٤] والتُتان، و"التُّنْبَاكِ"[٥]، و"طابة"[٦]، واسمه فى كتب الطب "طباق"[٧]. وقد عُرف في بلاد السودان الغربي بـ "طبغا"[٨]، و"الدخان"، و"تبغ"، و"طابة"[٩] و"طبغ"[١٠].

أما عن بداية وقوع الظاهرة في بلاد السودان الغربي؛ فالمصادر المتاحة لا

---

(١) المخطوطة السابقة، ورقة ٥.

(٢) مأخوذة من لفظة تاباغو وهى اسم جزيرة في خليج المكسيك، وجد بها التبغ، ونقل منها ونسب إليها، وهو نبات يجفف ثم يتعاطى دخانًا ومضغًا وسعوطًا. انظر، لويس معلوف: المنجد في اللغة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط١٩، ١٩٥٦، ص٥٩؛ سعيد الخوري: أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي- النجفى، إيران، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م، ج١، ص ٧٣.

(٣) أبو زيد عبد الرحمن التمنارتى: الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة، حققه اليزيد الراضى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧، ص٤٧٥.

(٤) عبد القادر الطبري: رفع الاشتباك عن تناول التنباك، مخطوطة محفوظة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، تحت رقم ب ٤١٣٦٦، ورقة ٢؛ إبراهيم اللقانى: مخطوطة سابقة، ورقة ٥.

(٥) عبد القادر الطبري: مخطوطة سابقة، ورقة ٢.

(٦) المخطوطة السابقة، ورقة ٢.

(٧) المخطوطة السابقة، ورقة ٢؛ المنقور: الفواكه العديدة في المسائل المفيدة، شركة الطباعة العربية السعودية، ط٥، ١٩٨٧، ج٢، ص٨١؛ جعفر بن إدريس الكتاني: حكم التدخين وتعاطى المفترات والمخدرات، لبنان، ٢٠١١، ص٥٨.

(٨) إبراهيم اللقاني: مخطوطة سابق، ورقة٥.

(٩) أحمد بابا: اللمغ في الإشارة لحكم تبغ، مخطوطة محفوظة ضمن مجموع، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود بالدار البيضاء، المملكة المغربية، تحت رقم ٣٢٦/ ٨، ورقة ١٣٦، ١٣٧.

(١٠) انظر البرتلى: فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، حققه محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨١، ص٣٦.

تعين في تحديد تاريخ بعينه لبداية ظهور ظاهرة تدخين التبغ في هذه البلاد، لكنها أشارت إلى العنصر المسئول عن جلب التبغ إلى البلدان الإسلامية، ومنها بلاد السودان الغربي، وتؤكد هذه الإشارات أن التبغ ظهر في بدايته "بأرض اليهود والنصارى والمجوس"(١)، وأن المجوس جلبوه إلى بلاد السودان (أي السودان الغربي)، ثم شاع انتشاره بعد ذلك في بلاد المغرب الإسلامي، ثم مصر والحجاز والهند وغالب بلاد الإسلام(٢). وهذا يعني أن أول ظهور للتبغ في بلدان العالم الإسلامي كان في بلاد السودان الغربي.

وصفت المصادر الذين جلبوا التبغ إلى بلاد السودان بالمجوس، ومن المعروف أن المؤرخين المسلمين أطلقوا لقب المجوس على القراصنة القادمين من أوروبا الشمالية والذين عرفوا بالنورمانديين، ذوي الأصل الجرماني الذين هاجموا عددًا من البلدان الأوروبية في العصر الوسيط، كما هاجموا بعض بلدان الغرب الإسلامي، ولا سيما الأندلس، وحدود وسواحل المغرب الأقصى(٣).

---

(١) إبراهيم اللقاني: مخطوطة سابقة، ورقة ٤، ٥، ٧؛ المنقور: مصدر سابق، ج٢، ص ٨٠.

(٢) إبراهيم اللقاني: مخطوطة سابقة، ورقة ٤، ٥؛ المنقور: مصدر سابق، ج٢، ص ٨٠.

(٣) انظر على سبيل المثال، البكري: جغرافية الأندلس وأوربا: من كتاب المسالك والممالك، حققه عبد الرحمن الحجى، دار الإرشاد، بيروت، ١٩٦٨، ص ١٥٨ - ١٥٩؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، حققه عمر عبد السلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧، ج٦، ص٩٤، ١٦٥؛ ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، حققه كولان وبروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط٣، ١٩٨٣، ج٢، ص٨٧؛ الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٥، ص٥٣٧؛ محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٩٩٧، ج١، ص٢٨٤، ٢٩٦.

وقد أطلق عليهم المؤرخون والجغرافيون المسلمون لقب المجوس؛ لأنهم كانوا يشعلون النار أينما حلوا(١).

ويرجح أن لفظة المجوس جرى إطلاقها على الأوروبيين الذين احتكوا بسواحل بلدان الغرب الإسلامي وبلاد السودان الغربي، ومنها سواحل البحر المحيط (الأطلنطي) المصاقبة لتلك البلاد سواء لأغراض القرصنة أو التجارة، غير أن المصادر السودانية التي أرخت للممالك الإسلامية ببلاد السودان الغربي لم يرد بها أية إشارة عن هؤلاء القراصنة والتجار، في حين تؤكد المصادر الأوروبية وبخاصة مؤلفات الرحالة والمستكشفين البرتغاليين والجنويين وصول التجار والمستكشفين البرتغاليين إلى ساحل غربي أفريقيا منذ عام ٨٥٠هـ/١٤٤٦م، واتصالهم بقبائل الماندنجو(٢) وإقامة علاقات تجارية

(١) خليل السامرائى وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، مديرية دار الكتاب للطبع والنشر، الموصل، ١٩٨٦، ص ١٢٧، ١٢٩؛ فالح حنظل: العرب والبرتغال في التاريخ، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبى، ١٩٩٧، ص٢٦، ٢٧.

(٢) يطلق على الماندنجو أيضًا اسم "الماندي"، وكانوا يعيشون في حيز يمتد بين مجالي التكرور والصنغي، أي بين نهر النيجر شرقًا وأعالي نهر السنغال غربًا ومنطقة الغابات جنوبًا. وقد تفرع الماندنجو إلى عدة بطون هى: السوننك، والونقارة، والملنكى، والبمبارا، والجالونكى، والسامانكى، وانتشرت هذه البطون في أرجاء مملكة صُنغى. وتعد قبائل الماندنجو المؤسسة لمملكة مالي الإسلامية، وكان لهم نشاط تجاري مزدهر في عهد مملكتى مالي وصُنغى. انظر محمود كعت: مصدر سابق، ص١٢٦؛ الحاج موسى أحمد كامرة: زهور البساتين في تاريخ السوادين مدونة شعوب غرب أفريقيا في التاريخ والأنساب والأنثروبولوجيا، تحقيق ناصر الدين سعيدوني ومعاوية سعيدوني، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، ٢٠١٠، ص ٣٨، ٣٩.

معهم[١]. وقد أكد هذا كل من أزورارا Azurara (٨٥٧هـ/١٤٥٣م)[٢]، وألڤيس كاداموستو Alvise da Cadamosto (٨٥٩هـ/١٤٥٥م)، وأنتونيوتو أوسوديمار Antoniotto Usodimare (٨٦٠هـ/١٤٥٦م)[٣]، وڤالنتيم فرناندیز Valentim Fernandes (٩١٣-٩١٤هـ/١٥٠٧-١٥٠٨م)[٤].

وفي ضوء ذلك، يمكن القول أن المقصود بالمجوس الذين جلبوا التبغ إلى السودان الغربي هم التجار البرتغاليين لسببين؛ الأول أن المصادر الإسلامية أطلقت لقب المجوس على النورمانديين الذين غزوا مدينة أشبونة أو ألاشبونة عام ٢٢٩-٢٣٠هـ/٨٤٣-٨٤٤م في عهد الخليفة الأموي عبد الرحمن الأوسط (١٧٦-٢٣٨هـ/٧٩٢-٨٥٢م)، وظل هؤلاء الغزاة بأشبونة

---

(١) بعدما نزل البرتغاليون بساحل المحيط الأطلنطي، بدأوا يهددون نفوذ مملكة مالي الإسلامية، وأطلقوا سلسلة من حملات قنص الرقيق على سكان المناطق الساحلية، الأمر الذي اضطر تلك المملكة للدفاع عن نفوذها ضد التغلغل البرتغالي.

Thornton, J: Warfare in Atlantic Africa 1500-1800, London and New York, 1999, P.23, Shillington, K: Encyclopedia of African history, London, Rutledge, 2004, P. 921.

(2)Azurara, Gomes Eannes de: The chronicle of the discovery and conquest of Guinea, London, 1896- 1899, Vol.1, p.153, 254.

(3) Cadamosto, Luis de: Viagens de Luis de Cadamosto e de Pedro de Sintra, Academia Portuguesa da Historia, Lisbon, 1948, p.53.

(4) Valentim, Fernandes: Description de la côte d'Afrique de Ceuta au Sénégal, Librairie Laros, Paris,1938, p.123.

أحمد الشكري: الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي، إصدارات المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٩٩٩، ص ١٩٩.

فترة من الزمن واتخذوها قاعدة لشن غاراتهم على البلدان المجاورة[١]، كما إن أشبونة سقطت في أيدي البرتغاليين في أواخر العهد المرابطي بالأندلس، ثم أصبحت عاصة لهم منذ عام ٦٥٣هـ/١٢٥٦م[٢]. أما السبب الثاني فهو استقرار البرتغاليين بسواحل بلاد السودان الغربي على البحر المحيط (المحيط الأطلنطي) منذ النصف الثاني من القرن التاسع للهجرة/الخامس عشر للميلاد[٣]، وأعقب ذلك ظهور التبغ في أوروبا، وخاصة في البرتغال[٤]، وخلال تلك الفترة تاجر البرتغاليون مع السودانيين، واشتروا منهم المنتجات

---

(١) ابن حيان: المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق محمود على مكى، القاهرة، ١٩٧١، ص٣١١، ٣١٢؛ العذري: ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الأهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٦٩، ص٩٨، ١١٨، ١١٩؛ ابن الأثير: مصدر سابق، ج٦، ص٩٤؛ ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقى ضيف، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤، ج١، ص٤٩؛ ابن عذاري: مصدر سابق، ج٢، ص٨٧، ٩٦؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق ليفى بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، ١٩٥٦، القسم الثانى ص ٤١، ٤٢؛ ابن خلدون: مصدر سابق، ج٤، ص١٦٥، ١٦٦.

(٢) عبد الواحد المراكشى: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، حققه صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٦، ص٢٦٥؛ محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجى، القاهرة، ط٢، ١٩٩٠، ج٤، ص ٢٤، ٢٥.

(٣) محمد الغربى: بداية الحكم المغربى في السودان الغربى، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الكويت، ١٩٦٠، ص٤٨٤.

Yakouba, Auguste Dupuis: Industries Et Principales Professions Des Habitants De La Région De Tombouctou, Paris, 1921, p.183.

(4) Goodman, Jordan: Tobacco in history: The Cultures of dependence, Routledge, 1994, p.36.

المحلية المهمة، في مقابل السلع المستوردة، والتي كان التبغ واحدًا منها[١].

والدليل على قدم وجود التبغ في بلاد السودان الغربي عقب استقرار البرتغاليين على سواحل تلك البلاد المطلة على المحيط الأطلنطي ما كشفت عنه تقارير الحفائر الآثارية، فقد أجريت بعض الحفائر القليلة في بعض المواقع القديمة لبلاد السودان الغربي، ومنها حفائر مدينة تنبكت أحد أهم مدن مملكة صُنغي، وأهم هذه الحفائر فيما يتعلق بموضوعنا تلك التي أجريت في موقع Shomaبمدينة ديا Dia التابعة لمنطقة موبتي Mopti بالقرب من دلتا نهر النيجر جنوب وسط جمهورية مالي حاليًا. وقد أكد التقرير الخاص بتلك الحفائر أن أقدم اكتشاف للتبغ في بلاد السودان الغربي عمومًا يعود إلى عام ٩٠٥هـ/١٥٠٠م تقريبًا، أي خلال العقد الأول من القرن العاشر للهجرة/ السادس عشر للميلاد، حيث اكتشفت بعض البقايا لأنابيب تدخين التبغ في المنطقة المذكورة[٢]. وإذا كان اكتشاف هذه الأنابيب يعود إلى مطلع القرن العاشر، فهذا يعني أن بداية الظاهرة نفسها تسبق اكتشاف هذه المواد التي استخدمت في التدخين، وبالتالي فمن المرجح أن ظاهرة تدخين التبغ ترجع إلى الربع الأخير من القرن التاسع للهجرة.

لم يكتف البرتغاليون بتجارة أوراق التبغ مع سكان تلك البلاد، بل إنهم كانوا مسئولين عن انتشار زراعته هناك، إذ تؤكد بعض الإشارات جلب التجار البرتغاليين لبذور التبغ بعد معرفتهم لهذا النبات مباشرة إلى بلاد السودان الغربي،

---

(١) محمد الغربي: مرجع سابق، ص٤٨٤.

Yakouba, Auguste Dupuis: Op.cit, p.183.

(2) Arazi, Noemie: Tracing history in Dia, in the Inland Niger Delta of Mali - Archaeology, Oral Traditions and Written Sources, PhD degree, University College London, Institute of Archaeology, 2005, p. 120.

حتى صار يزرع فيها وشوهدت زراعته هناك عام ٩٧٨هـ/ ١٥٧٠م[١]، لا سيما مع وجود التربة المناسبة لزراعته، فمن المعروف أن أغلب أنواع التربة تصلح لزراعة التبغ، وهو لا يحتاج إلى أراضٍ خصبة أو مياه وفيرة، ولكن يفضل التربة الرملية الخفيفة فزراعته تجود في التربة التي تمتص المياه جيدًا، ولا يفضل الأرض الطينية الرطبة لزراعة التبغ، كما إنه يفضل لزراعته المناخ الجاف الدافئ، وكل أنواع التبغ تحتاج إلى تربة معرضة للشمس[٢]. في ضوء ذلك يمكن القول بأن التربة الصحراوية التي انتشرت في بعض جهات بلاد السودان الغربي، وخاصة مدينة تنبكت، فضلًا عن مناخ تلك البلاد الحار الجاف قد ساعد على وجود زراعة محلية للتبغ؛ مما أعان على تفشي ظاهرة تدخينه في مجتمع السودان الغربي.

ونتيجة انتشار زراعة التبغ في بلاد السودان الغربي، نفهم لماذا أكدت الإشارات المصدرية على ظهور التبغ في بلاد السودان أولًا، ثم أصبح يُصدر من تنبكت إلى المغرب وبعض البلدان الإسلامية الأخرى[٣]، ففي هذا الصدد يشير الفقيه المغربي التمنارتي (٩٧٤-١٠٦٠هـ/١٥٨٥م-١٦٥٠م) إلى قدوم التبغ إلى بلاد المغرب من جهة بلاد القبلة (جنوب غربي بلاد شنقيط

(1) Goodman, Jordan: Op.cit, p.36, Yakouba, Auguste Dupuis: Op.cit, p.183.
فانسينا، ج: جنوب الكونغو، ضمن كتاب: فجر التاريخ الأفريقي، ألفه نخبة من أساتذة الجامعات البريطانية، ترجمة عبد الواحد الإمبابي، وكالة الصحافة العربية، مصر، ٢٠٢١، ص١٠٧؛ محمد الغربي: مرجع سابق، ص٤٨٤.

(٢) أحمد بك ندى: حسن الصناعة في علم الزراعة، دار الطباعة العامرة، القاهرة، ١٨٧٧، ص١٦٨؛ الشيخ يوسف الجميل: زراعة التبغ التركي في لبنان، مجلة المشرق، المجلد ١٤، لبنان، ١٩١١، ص٢٧٦- ٢٧٨؛ محمد إبراهيم حسن: دراسات في جغرافية إفريقيا وحوض النيل، مركز الإسكندرية للكتاب، ١٩٩٧، ص ٢٣٤؛ أحمد على الشحات: رسالة العلم... السيجارة، مجلة الرسالة، السنة التاسعة، العدد ٤٢١، يناير ١٩٤١، ص٤٥.

(3) Goodman, Jordan: Op.cit, p.36, Yakouba, Auguste Dupuis: Op.cit, p.183.
فانسينا، ج: مرجع سابق، ص١٠٧؛ محمد الغربي: مرجع سابق، ص٤٨٤.

"موريتانيا حاليًا")[١]، فتلك البلاد مثلت أحد أهم محطات الطريق التجاري الواصل بين بلاد المغرب الإسلامي وبلاد السودان الغربي لفترة تمتد من القرن الثاني حتى نهاية القرن العاشر للهجرة. وكان يطلق على التبغ "أمَّانَيْجة" باللهجة الحسانية[٢] وأصبحت أسواقه رائجة في المغرب الأقصى، كما أخذت قوافل التجارة العابرة للصحراء تحمله من تنبكت إلى مراكش[٣]. لكن تصدير التبغ من بلاد السودان إلى المغرب لا يعني أن انتشار التبغ في المغرب كان مصدره بلاد السودان فقط، بل تنوعت مصادره، فوفقًا لشهادات بعض التجار والعلماء الذين تنقلوا في الأقطار، فإن الدخان منه ما كان يُجلب من بلاد النصارى (أي أوروبا) إلى المغرب[٤]، فيشير أحد الباحثين إلى أن بعض البحارة الأوروبيين جلبوا التبغ إلى المغرب عام ٩٩٤هـ/١٥٨٥م؛ ثم حمله معهم الجنود المغاربة إلى مملكة صنغي أثناء الغزو

(١) الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة، ص٤٧٦؛ حماه الله ولد السالم: تاريخ بلاد شنكيطى (موريتانيا) من العصور القديمة إلى حرب شربة الكبرى بين أولاد الناصر ودولة إبدوكل اللمتونية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠، ص٢١٥؛ المجتمع الأهلى الموريتانى: مدن القوافل (١٥٩١-١٨٩٨)، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٨، ص٩١.

(٢) هى لهجة بدوية مشتقة من العربية، وهى أقرب اللهجات العربية إلى الفصحى، تتحدثها قبائل بنى حسان العربية الذين استقروا ببلاد شنقيط (موريتانيا) وجنوب المغرب منذ القرن التاسع للهجرة/ الخامس عشر للميلاد. محمد نافع العشيري: السوق اللغوية المغربية، دار كتوبيا للنشر والتوزيع، مصر، ٢٠١٩، ص١١٤.

(٣) التمنارتي: مصدر سابق، ص٤٨٤؛ محمد حجي: مرجع سابق، ج١، ص٢٤٧؛ سيدي أحمد ولد الأمير: التدخين والشاي بموريتانيا.. تقاطع التاريخ بالأدب والعادات، وزارة الثقافة والشباب والرياضة والعلاقات مع البرلمان، الجمهورية الإسلامية الموريتانية، البحث منشور على الرابط التالى:

https://www.culture.gov.mr/ar/node/144

(٤) نصيحة الإخوان باجتناب الدخان، ورقة ٧.

المراكشي لها عام ١٠٠٠هـ/١٥٩١م[١]. وهذا يعني أن التبغ تم تبادله بين بلاد السودان الغربي وبلاد المغرب الأقصى، وحمله المغاربة إلى مملكة صُنغي مع نهاية القرن العاشر للهجرة/ السادس عشر للميلاد.

كما وصل التبغ إلى مصر من بلاد السودان الغربي أيضًا، يؤكد ذلك الفقيه المصري إبراهيم اللقاني (٩٦٠- ١٠٤١هـ/١٥٥٢-١٦٣١م) حينما تحدث عن ظاهرة انتشار التبغ في مصر قال: "ومنه ما يجلب من بلاد السودان"[٢]. وهذا يعني أن السودان الغربي كان مصدرًا للتبغ المتداول في كثير من بلدان العالم الإسلامي في ذلك الحين.

في ضوء الإشارات السابقة يتضح أن ظاهرة تدخين التبغ ظهرت في بلاد السودان الغربي خلال الربع الأخير من القرن التاسع للهجرة، وهذا يخالف الاعتقاد الذي ساد في بعض المصادر والمراجع بأن تلك الظاهرة بدأت في بلاد السودان مع نهاية القرن العاشر أو خلال العقد الأول من القرن الحادي عشر للهجرة، فالبعض ذهب إلى ظهور التبغ ببلاد السودان في حدود عام ١٠٠٠هـ/١٥٩١م[٣]؛ وذلك بناء على استفتاء أحمد بابا التنبكتي (٩٦٣-

(1) Duvall, Chris. S: Cannabis and tobacco in precolonial and colonial Africa, in Spear, T (Ed): "Oxford research encyclopedia of African history", Oxford university press, New York, 2017, p.14.

(٢) إبراهيم اللقاني: مخطوطة سابقة، ورقة ٤، ٥؛ المنقور: مصدر سابق، ج٢، ص ٨٠.

(٣) مرعى بن يوسف المقدسي: تحقيق البرهان في شأن الدخان الذي يشربه الناس الآن، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٠، ص٩٣؛ إبراهيم اللقاني: مخطوطة سابقة، ورقة ٤، ٥؛ المنقور: مصدر سابق، ص٨٠؛ عثمان عنبر: السجائر والدخان والمخدرات، دار الهدى للتأليف والتحقيق والنشر والتوزيع، ١٩٧٧، ص٢١.

١٠٣٦هـ/١٥٥٦-١٥٢٧م) لشيخه الفقيه محمد بغيع[١] (٩٣٠-١٠٠٢هـ/١٥٢٤-١٥٩٣م) في مسألة تدخين التبغ خلال ذلك التوقيت[٢]. وهناك من يرجع هذه الظاهرة إلى عام ١٠٠١هـ/١٥٩٢م، فبعض المصادر أشارت إلى قدوم بعض السودانيين على ظهر الفيلة من تنبكت إلى مراكش خلال هذا العام، وكان مع هؤلاء السودانيين الذين يسوقون الفيلة نبات التبغ يدخنونه، ويزعمون أن به منافع[٣]. وذهب البعض الآخر إلى أن تاريخ بداية الظاهرة يعود إلى مطلع القرن الحادي عشر للهجرة، وتحديدًا في عام ١٠٠٥هـ/١٥٩٦م[٤]؛ استنادًا للإشارة التي

---

(١) هو محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري التنبكتي، المعروف ببغيع، أحمد أبرز علماء تنبكت وقضاتها خلال عصر الأساكي، مر بمصر أثناء رحلته للحج، والتقى بالناصر اللقاني والتاجوري والزين البحيري والشريف يوسف البرهمتوشي الحنفي، والإمام محمد البكري وغيرهم، وحصل العلم على أيديهم، وهو شيخ أحمد بابا التنبكتي. انظر أحمد بابا: نيل الابتهاج، ج٢، ص٦٠٠- ٦٠٣.

(٢) الرهوني: حاشية الرهوني على شرح الزرقاني، المطبعة الأميرية، بولاق، ١٣٠٦هـ، ج٣، ص٤٤.

(٣) الوفراني: نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، صحح عباراته السيد هوداس، مدينة إنجي، ١٨٨٨، ص١٦٢؛ الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٤، ج٢، ص٣١٥؛ عبد الأحد السبتي، عبد الرحمان لخصاصي: من الشاي إلى الأتاي العادة والتاريخ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ١٩٩٩، ص٦٩.

(٤) محمد النور بن ضيف الله: كتاب الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان، حققه يوسف فضل حسن، دار التأليف والترجمة والنشر، جامعة الخرطوم، ١٩٧٤، ص٥؛ جعفر بن إدريس الكتاني: مرجع سابق، ص٥٨؛ محمد حجي: مرجع سابق، ج١، ص٢٤٦؛ عمر أفا: التجارة المغربية في القرن التاسع عشر البنيات والتحولات ١٨٣٠-١٩١٢، دار الأمان، ٢٠٠٦، ص١٨٨؛ لحسن اليوبي: مرجع سابق، ص٣٢٥؛ فرج زهران: المسكرات أضرارها وأحكامها دراسة مقارنة في الشريعة الإسلامية، دار مصر للطباعة، ١٩٨٣، ص٢٨٣.

أوردها فقيه مدينة تنبكت وقاضيها محمد بن أحمد بن القاضي عبد الرحمن السوداني التنبكتي (٩٥٢-١٠١٦هـ/١٥٤٥-١٦٠٧م)، في رسالته إلى شيخ المالكية بمصر الفقيه سالم السنهوري (٩٤٥-١٠١٥هـ/١٥٣٨-١٦٠٦م) يقول فيها "في السنة الخامسة بعد الألف ظهرت أوراق شجرة في بلد تنبكتوا حرسها الله تعالى تسمى طبغا"(١).

منطقيًا ليس هناك مجال للربط بين هذه الإشارات وتحديد بداية الظاهرة، فسؤال أحمد بابا لشيخه، وكذلك سؤال قاضي تنبكت عن حكم تدخين التبغ، كان نتيجة تفشي الظاهرة واستشراءها في مجتمع السودان الغربي؛ فأصبحت هناك ضرورة ملحة للنقاش حولها بين فقهاء السودان الغربي. كما إن قدوم السودانيين بالتبغ إلى مراكش عام ١٠٠١هـ، يعنى أن تدخين التبغ كان عادة مألوفة عند السودانيين الذين صاروا مدخنين له، بدليل حرصهم على أخذ كمية منه في رحلتهم إلى المغرب الأقصى.

هكذا يتبين أن ظاهرة تدخين التبغ في مجتمع السودان الغربي لم تظهر خلال أواخر القرن العاشر وبدايات القرن الحادي عشر للهجرة(٢)، فهذا التاريخ يحدد فقط بدايات النقاش الفقهي حول الظاهرة، ويتبين أن ظهور التبغ بتلك البلاد ارتبط ببدايات النشاط التجاري البرتغالي على سواحل المحيط الأطلنطي في منتصف القرن التاسع للهجرة، وبالتالي فإن دخول التبغ إلى تلك البلاد يرجع إلى الربع الأخير من ذلك القرن، ثم زاد انتشاره واستعماله بين عدد كبير من أهل تلك البلاد في الربع الأخير من القرن العاشر للهجرة أثناء فترة الضعف التى عانت منها مملكة صنغى الإسلامية، مع تزامن إحكام البرتغاليين قبضتهم على التجارة مع المنطقة عبر البحر المحيط (الأطلنطي)، ثم دارت الأسئلة حول

(١) إبراهيم اللقاني: مخطوطة سابقة، ورقة ٥.

(٢) المخطوطة السابقة، ورقة ٤، ٥؛ المنقور: مصدر سابق، ج٢، ص ٨٠.

هذه الظاهرة في حدود عام ١٠٠٠هـ/١٥٩١م، وهو العام الذي سقطت فيه صنغي في قبضة الجيش السعدي(١).

ويؤكد أيضًا استشراء الظاهرة وزيادة أعداد مدخني التبغ في مجتمع السودان الغربي خلال نهايات القرن العاشر للهجرة تزامنًا مع سقوط مملكة صُنغي الإسلامية، ما قدمته تقارير الحفائر الآثارية من أدلة، فمن خلال الحفائر التي قام بها تيموثي إنسول Timothy Insoll في نوفمبر عام ١٩٩٦(٢)، والتي أجريت في منطقتين في مدينة تنبكت؛ الأولى في الشمال الشرقي منها حول مسجد سنكري Sankore وتسمى هذه المنطقة بالقصبة المغربية (Casbah Marocaine)، والمنطقة الثانية تقع غرب مسجد جنكري برDjinguereber "المسجد الكبير"، وتسمى هذه المنطقة أزلاي (Azalai)، تم العثور على عدد كبير من بقايا أنابيب تدخين التبغ في المنطقتين المذكورتين؛ منطقة القصبة المغربية، ومنطقة أزلاي، ويعود تاريخ وجود هذه الأنابيب إلى عام ١٠٠٠هـ/١٥٩١م(٣).

---

(١) انظر البرتلي: مصدر سابق، ص٣٧.

(2) Insoll, Timothy: Archaeological research in Timbuktu, Mali, Antiquity, No. 72, 1998, p.414.

(3) Ibid, p.415.

انظر صورة لأنابيب تدخين التبغ المكتشفة بملاحق البحث.

أجريت حفائر أخرى عام ١٩٩٩ في موقع مدينة جنى، قام بها فريق دولى من علماء الآثار، و عثروا على أكثر من ٣٠٠ قطعة من بقايا الأنابيب والغلايين التى استخدمت لتدخين التبغ، عدد منها يرجع لعام ١٠٠٠هـ/١٥٩١م. انظر:

McIntosh, Susan Keech, Gallagher, Daphne & McIntosh, Roderick. J: Tobacco pipes from excavations at the Museum site, Jenne, Mali, Journal of African Archaeology, Vol.1, No.2, 2003, pp.172, 178, 179, 181, Insoll, Timothy: Preliminary results of excavations and surveys at Gao and Timbuktu, October and November 1996, Nyame Akuma, No.47, June. 1997, p.36, Insoll, Timothy: Archaeological research in Timbuktu, Mali, p.415.

ويرجح أن التبغ المكتشف في منطقة القصبة المغربية، كان من آثار وجود الجنود المغاربة في تلك المنطقة؛ ففي التاريخ المذكور نجحت الحملة السعدية بقيادة جؤدر باشا في احتلال مملكة صنغي، ففي عام ٩٩٩هـ/١٥٩٠م نجح جؤدر وجيشه في دخول العاصمة جاو (كاغ)، ومكث فيها خمسة عشر يومًا، ثم ارتحلوا قاصدين مدينة تنبكت، التي دخلوها وبنوا بها القصبة في الجانب الشرقي منها(١). ثم سيطر المغاربة تمامًا على مملكة صنغي في شهر المحرم من عام ١٠٠٠هـ/١٥٩١م(٢).

كما اكتشفت أنابيب تدخين التبغ في جميع مستويات الحفر في مدينتي جني، وتنبكت(٣)، ويرجع تاريخها إلى أواخر القرن العاشر للهجرة/ السادس عشر للميلاد(٤). وتعبر كثرة بقايا الأنابيب المكتشفة عن تفشي الظاهرة بين عدد كبير من أبناء المجتمع الصُنغي. وهذا يؤكد ما ورد في فتوى قاضي تنبكت بشأن شيوع الظاهرة بين العامة والخاصة.

ويتبين من خلال تلك التقارير استخدام السودانيين الأنابيب في استنشاق أدخنة التبغ، ويرى الآثاريون الذين قاموا بتلك الحفائر أن أنابيب تدخين التبغ صنعت محليًا من الأخشاب وتحديدًا من جذوع الأشجار(٥)، وفي وقت لاحق

---

(١) محمود كعت: مصدر سابق، ص ٢٧١.

(٢) السعيدي: مصدر سابق، ص ١٤٩- ١٥٢.

(٣) تشير تقارير حفائر جاو إلى أن أنابيب تدخين التبغ لم تكن من بين المكتشفات في مواقع الحفر في تلك المدينة حتى أوائل القرن العاشر للهجرة/ السادس عشر للميلاد، وإنما ظهرت فيما بعد في أواخر القرن المذكور.

Arazi, Noemie: Op.cit, pp. 106- 107.

انظر صورة لأنابيب تدخين التبغ المكتشفة بملاحق البحث.

(4)Insoll, Timothy: The archaeology of post medieval Timbuktu, Smithsonian Institution Libraries, 2002, p.9.

(5) McIntosh, Susan Keech, Gallagher, Daphne & McIntosh, Roderick. J: Op.cit, p.172.

استخدمت أنابيب مصنوعة من الفخار؛ لتدخين التبغ[١]. وعمومًا فإن هذا الكشف الآثاري يتفق مع ما ورد في بعض المصادر بشأن استخدام الأنابيب لاستنشاق دخان التبغ. فيتبين من نص السؤال الذي طرح على الفقيه سالم السنهوري أن دخان التبغ يُستنشق في قناة[٢] أي أنبوب. ويشير التمنارتي إلى أن أهل السودان "يشربون الدخان في جِعَاب"، أي أنابيب[٣].

يُفهم مما سبق أن ظاهرة تدخين التبغ في بلاد السودان الغربي عرفت انتشارًا واسعًا ووجدت إقبالًا من عامة المجتمع، فأثير الحديث بين الفقهاء حول تلك الظاهرة في أواخر القرن العاشر وبدايات القرن الحادي عشر للهجرة؛ نتيجة استشراءها، والأضرار الناجمة عنها، والتي أقلقت الفقهاء وبخاصة المؤيدين لتحريم تدخين التبغ، فما هي آثار ظاهرة تدخين التبغ في مجتمع السودان الغربي؟

ثانيًا- آثار ظاهرة تدخين التبغ في مجتمع السودان الغربي:

بعد شيوع ظاهرة التدخين في مجتمع السودان الغربي، وبخاصة في المدن الكبرى، ولا سيما مدينة تنبكت، وبعض مدن السودان الغربي الأخرى؛ انبرى عدد من الفقهاء للسؤال حول مشروعية تدخين التبغ، وقد كشفت لنا أسئلة هؤلاء الفقهاء عن بعض الآثار السلبية للتدخين في المجتمع.

---

(1) Mvondo, Ossah: La question des pipes archéologiques en Afrique: les nouvelles évidences, West African Journal of Archaeology, 1994, p.7, Keita, Daouda: Le peuplement de la marge orientale du delta intérieur du Niger au premier millénaire après Jésus Christ, PhD degree, Université Paris, 2011, p.128.

(٢) ابن أبي مَحَلِّي: الإصليت الخريت بقطع بلعوم العفريت النفريت، دراسة وتحقيق عبد المجيد القدوري، الرباط، ١٩٩١، ص ١٦٥.

(٣) التمنارتي: مصدر سابق، ص٤٨٤.

لكن قبل أن نعرض لتلك الآثار السلبية للتدخين، من الأهمية بمكان التأكيد أولًا على أن هذه الظاهرة شكلت أحد أبرز الشواغل الفكرية التي شغلت علماء السودان الغربي وبخاصة فقهاء مدينة تنبكت التي تميزت بعلو شأن فقهائها خلال القرنين التاسع والعاشر للهجرة/الخامس عشر والسادس عشر للميلاد، أي أن الظاهرة أحدثت حراكًا فكريًا مهمًا بين فقهاء مملكة صُنغي، وبخاصة فقهاء مدينة تنبكت، وفقهاء العالم الإسلامي، وخاصة فقهاء مصر. ومن الفقهاء التنبكتيين الذين أثاروا مسألة التدخين، قاضي تنبكت محمد بن أحمد بن القاضي عبد الرحمن السوداني؛ فنتيجة استياءه من تفشي ظاهرة تدخين التبغ أرسل رسالة إلى الفقيه المصري سالم السنهوري عام ١٠٠٥هـ يستفسر فيها عن رأي هذا العالم المالكي الجليل في تدخين التبغ. ونقل لنا نص السؤال الفقيه إبراهيم اللقاني، وجاء فيه: " في السنة الخامسة بعد الألف ظهرت أوراق شجرة في بلد تنبكتوا حرسها الله تعالى تسمى طبغا ابتلى الله سبحانه المسلمين بتدخينها وشرب دخانها في كل وقت وزعموا أن ذلك دواء لكل مرض وأنهم وجدوا في شرب دخانها شفاء للأمراض[١] حتى استعملها خاصتهم

(١) تشير الدراسات الآثارية إلى استخدام التبغ لأول مرة في حوالى القرن الأول قبل الميلاد، عندما استخدم شعب المايا في أمريكا الوسطى أوراق التبغ للتدخين في الاحتفالات المقدسة والدينية. ثم بدأ لاحقًا في الانتشار في أمريكا الجنوبية خلال القرن الأول للميلاد، وكان غالب استخدامه لأغراض طبية، وبخاصة لتسكين أوجاع الأذن والأسنان، والصدر، كما وضعت عصارته على الجروح لعلاجها، ولعلاج لدغات الثعابين والزواحف، بل إن الهنود الحمر اعتقدوا في علاج التبغ لكل الأمراض من ربو وروماتيزم، وحمى، وسعال، وآلام العين، وآلام الولادة، والصداع، والدمامل، والخراجات. كما اعتقد البعض في استخدام التبغ لحماية النساء الحوامل والأطفال من الأرواح الشريرة ومن الأفاعى. ومن ثم فإن ساد الاعتقاد منذ القدم في نفع التبغ في علاج بعض الأمراض.
Goodman, Jordan: Op.cit, pp.27-28 =

وعامتهم وشحَّ بها السلاطين والكبراء حتى صارت غالية الأثمان كبيرة القدر، فما رأيكم فيها بأنها من غش الشيطان وتزيينه لهم وتلبيسه عليهم حتى يتولد من تكاثف دخانها في أجوافهم الأدواء والأمراض في عاقبة الأمر"[1].

ويلاحظ من خلال رسالة قاضي تنبكت أنها ليست مجرد استفسار يطلب بمقتضاه رأي الفقيه المصري المالكي سالم السنهوري، بل حرص القاضي التنبكتي على الإدلاء برأيه في المسألة بعد أن شاهد تفشي الظاهرة وآثارها السلبية في المجتمع، ويؤكد أيضًا قناعته بتحريم تدخين التبغ.

فمن خلال السؤال يتبين تفشي الظاهرة بأن أصبح الكثيرون من أهل تنبكت يدخنون التبغ في كل وقت. ويُفهم من هذه الإشارة المهمة أن هذه العادة ليست مستحدثة وإنما مرت عليها فترة زمنية ليست بالقليلة كما سبقت الإشارة، فقد انتشر تدخين التبغ في أوساط المجتمع السوداني حتى صار دأب الكثيرين من العامة والخاصة في كل الأوقات كما يبين السؤال؛ واستدعى ذلك تدخل الفقهاء للنظر في المسألة. ومن الراجح أن فقيه تنبكت عرضت عليه هذه النازلة، واستفتي فيها، وأدلى برأيه الوارد في السؤال الذي بين أيدينا، ثم إنه نتيجة تفشي الظاهرة بشكل كبير؛ آثر أن

= وقد انتشر هذا الاعتقاد في مجتمع السودان الغربي على النحو الذي أوضحه سؤال قاضي تنبكت محمد بن عبد الرحمن. ويشير السعيدي إلى أنه في عام ١٠٠٧ هـ/١٥٩٩م دارت معركة بين جيش الباشوات المغاربة، وجيش مالي التي كانت تحاول استعادة نفوذها وسلطانها ببلاد السودان الغربي، وكان حاكمها منسا محمود الرابع (١٥٩٠-١٦٠٠م) يريد السيطرة على مدينة جني. وأصيب في هذه المعركة أحد قادة الجيش المغربي، وهو علي بن عبد الله التلمساني، فقد أصابه سهم مسموم؛ فشرب طبغ فتقيأ السم، وشفي؛ ولذلك استمر على شرب الطبغ حتى وفاته. انظر ملوك السودان، ص ١٧٩، ١٨٠.

(١) إبراهيم اللقاني: مخطوطة سابقة، ورقة ٥.

يراسل شيخ المالكية بمصر الفقيه السنهوري عام ١٠٠٥هـ؛ لا سيما مع أخذ أهل تنبكت والسودان الغربي عامة بالمذهب المالكي[١] هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن مراسلة القاضي التنبكتي لأحد علماء مصر البارزين تعد استمرارًا للتواصل الثقافي بين علماء مصر وعلماء بلاد السودان الغربي والتي كانت مسألة تبادل الفُتيا أحد أهم مظاهرها خلال القرنين التاسع والعاشر للهجرة[٢]، بل إن أحد أبرز ملوك صنغي وهو الأسكيا الحاج

(١) انتشر مذهب الإمام مالك في بلاد السودان الغربي نتيجة لانتشار الإسلام عن طريق التجار المغاربة المالكية منذ القرن الثاني للهجرة. انظر، حسين مراد: المذهب المالكى في السودان الغربي: ظهوره- انتشاره- سيادته، مجلة وقائع تاريخية، جامعة القاهرة، كلية الآداب، عدد٥، يناير ٢٠٠٦، ص ٥٤، ٥٨، ٥٩.

(٢) يعد تبادل الفُتيا أحد أهم مظاهر التواصل الفكري بين الطرفين، فقد تلقى السيوطي رسالة من الفقيه شمس الدين بن محمد اللمتوني في عام ٨٩٨هـ/١٤٩٣م تضمنت بعض الاستفسارات التي عبرت عن واقع مجتمع بلاد السودان الغربي، ورد عليه السيوطي برسالة سمَّاها "فتح المطلب المبرور وبرد الكبد المحرور في الجواب عن الأسئلة الواردة من التكرور". كما بعث السيوطي برسالة إلى حكام بلاد السودان الغربي حضهم فيها على تقوى الله والعدل في الرعية؛ مما يدل على صلة هؤلاء الحكام بالسيوطي وطلبهم النصح والإرشاد منه، ويؤكد ذلك عمق الصلات الفكرية بين أولئك الحكام وعلماء مصر. انظر السيوطي: الحاوي للفتاوي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٤، ج١، الصفحات: ٣٣٦- ٣٤٦؛ السيوطي: رسالة إلى ملك التكرور، مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية، تحت رقم ٤١٦، ميكروفيلم رقم ٤٧٥٩، ورقة ٣٩؛ سحر عنتر: فقهاء المالكية وآثارهم في مجتمع السودان الغربي في عهدي مالي وصُنغي (٦٢٨-١٠٠٠هـ/١٢٣٠-١٥٩١م)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠١١، ص٢٦٨. ومن دلائل تبادل الفتيا بين علماء مصر وعلماء صنغي، أنه عندما وقع خلاف بين الفقيه العاقب بن عبد الله الأنصمني (كان حيًا عام ٩٥٥هـ/١٥٤٣م) وبين بعض فقهاء بلدته حول وجوب صلاة الجمعة ببلدتهم "أنصمن"، ولحل تلك الإشكالية أرسلوا إلى علماء مصر يستفتونهم، فأفتى الأخيرون بصحة رأي الفقيه العاقب بوجوب الجمعة في البلدة المذكورة. أحمد بابا: مصدر سابق، ج٢، ص ٢٥٣. =

محمد الكبير (٨٩٨-٩٣٥هـ /١٤٩٣- ١٥٢٩م) أثناء مروره بمصر في رحلة حجه عام ٩٠٢هـ/١٤٩٦م التقى ببعض علماء مصر وفقهاءها ومنهم الإمام المصري جلال الدين السيوطي (المتوفى عام ٩١١هـ/١٥٠٥م) الذي استفتاه الأسكيا في بعض أمور مملكته(١).

غير أن تأكيد قاضي تنبكت على شيوع ظاهرة تدخين التبغ وإقبال الكثيرين عليه(٢)، يؤكد كثرة التبغ المتداول، أعان على ذلك -كما سبقت الإشارة إليه- وجود زراعة محلية للتبغ في تلك البلاد ساعد على ذلك جلب

= ويعد أحمد بابا التنبكتي السوداني (٩٦٣-١٠٣٦هـ/١٥٥٦-١٥٢٧م) نموذجًا مهمًا للتواصل الفكري لعلماء السودان الغربي عامة، وصنغي خاصة، مع علماء مصر، فكان لأحمد بابا عدد من المراسلات والفتاوى مع علماء مصر، منها رسالته بعنوان "أسئلة في المشكلات" والتي أرسلها إلى شيخ المالكية بمصر الفقيه سالم السنهوري (٩٤٥-١٠١٥هـ/١٥٣٨-١٦٠٦م)، استفسر فيها عن بعض الأمور الفقهية التي أُشكلت عليه، وطلب أحمد بابا من السنهوري وغيره من علماء مصر أن يفتوه في تلك المسائل التي بلغ مجموعها ستًا وثلاثين مسألة. كما أرسل أحمد بابا رسالة أخرى عنوانها "أسئلة إلى علماء مصر"، يطلب رأيهم في بعض المسائل المتنوعة بلغ مجموعها إحدى وعشرين مسألة تنوعت بين الفقه والتصوف وعلم اللغة، وغيرها بعد أن عرض عليهم رأيه واجتهاده فيها. أحمد بابا: أسئلة في المشكلات، مخطوطة محفوظة بالخزانة العامة بالرباط، ضمن مجموعة رقم ٤٧٠ ك، من ورقة ١١٨ ظ إلى ورقة ١٤٠و؛ أحمد بابا: أسئلة إلى علماء مصر، مخطوطة مصورة من المكتبة الوطنية بباريس، تحت رقم ٥٨٣٢؛ البرتلي: مصدر سابق،، ج١، ص٣٦؛ سوزي أباظة: دراسة حول مخطوطي "أسئلة في المشكلات" و"أسئلة إلى علماء مصر" لأحمد بابا التنبكتي، ندوة البردي والمخطوطات العربية في أفريقيا، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، ٢٦- ٢٧ ديسمبر ٢٠٠١، ص ٧٦، ٧٧؛ مطير سعد غيث: الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي، دار المدار الإسلامي، ليبيا، ٢٠٠٥، ص١٤٥.

(١) السيوطي: الحاوي للفتاوي، ص ٣٤٤، ٣٤٦؛ محمود كعت: مصدر سابق، ص ١٦؛ السعيدي: مصدر سابق، ص٨٣.

(٢) إبراهيم اللقاني: مخطوطة سابقة، ورقة ٥.

البرتغاليين لبذوره، مع وجود الأراضي الصالحة لزراعته، فضلًا عن تحقيقه للأرباح المادية الكبيرة سواء لمزارعيه أو للمتاجرين فيه، ومن ثم تعد زراعة هذا النبات أحد أبرز الآثار السلبية في مجتمع السودان الغربي، فقد يسرت وفرة محصول التبغ انتشار ظاهرة تدخينه وكثرة عدد مدخنيه.

ويوضح سؤال قاضي تنبكت السبب وراء إقبال الكثيرين من العامة والخاصة على تدخين التبغ، وهو الزعم بمنافعه، وكان أحمد بابا التنبكتي من جملة الزاعمين بتلك المنافع، ففي ختام رسالته حول حكم تدخين التبغ أشار إلى فوائد الدخان وكأنه أصبح علاجًا لكل الأمراض، وعدد فوائده العلاجية ومنها، تسخين الرأس والجسد، وإخراج البلغم، وإنزال الطعام للمعدة، وتسهيل خروج الفضلات، وتخفيف الزكام، وتقوية البصر، وتحريك الباءة، وتقوية الهمة وإذهاب العياء، كما إنه ينفع من ذوات السموم كلدغ الحية والعقرب ونحوهما. ويزيد أحمد بابا أنه رأى بخط بعض أطباء المغرب العارفين بالأعشاب، مزيدًا من فوائد نبات التبغ في علاج بعض الجروح، وتسكين ألم الأسنان، وعلاج أمراض الصدر كالسعال وضيق النفس "إذا طبخ ورقها وصنع منه لعوق، وتخرج الأخلاط المتعفنة في الصدر إذا اتخذ من عصارتها شراب"، كما ينفع الدخان حسب زعمه في علاج أمراض الرحم، وعلاج جرح السهم المسموم إذا وضعت عصارته عليه، وينفع في علاج القروح المسمومة[1].

وقد رد الفقيه المصري الشيخ إبراهيم اللقاني على مزاعم أحمد بابا وغيره من القائلين بمنافع الدخان بأنه لا شفاء فيه أصلًا بل إن ضرره مشاهد في أكثر المستعملين له، وأن استعماله في التداوي يكون في نطاق ضيق مع الحرص على عدم وصوله للفم والأنف قدر الإمكان، كما إنه لا

(١) اللمغ في الإشارة لحكم تبغ، ورقة ١٣٦، ١٣٧.

يكون للتلذذ حال استخدامه للعلاج، وبالتالي "فإن دعوى التداوي لم تكن إلا تلبيسًا وتسترًا حتى يتوصلوا به إلى الأغراض الباطلة"(١).

ونستنتج من سؤال القاضي محمد بن عبد الرحمن مزيدًا من الآثار السلبية لتدخين التبغ، وفي مقدمتها الأوبئة والأمراض التي أصابت المدخنين له، وهو بذلك يدحض مزاعم هؤلاء الذين يرون أن في تدخين التبغ شفاء لكل مرض(٢). وتبرهن إشارة قاضي تنبكت بشأن الأمراض التي أصابت المدخنين للتبغ على أن تداوله لم يظهر فجأة في عام ١٠٠٥هـ، فمن المؤكد أن الأمراض التي عاينها قاضي تنبكت في مجتمعه –كما يُفهم من سؤاله– كانت تحتاج لبضع سنوات حتى يظهر مثل هذا الأثر البدني على مدخني التبغ. وقد اتفق الشيخ إبراهيم اللقاني المصري مع قاضي تنبكت في الأضرار الصحية التي تلحق بمدخني التبغ وأن هذا الضرر مُشاهد في أكثر المستعملين له، بما يسببه تدخين التبغ من أمراض، وأضرار(٣). ومن هذه الأضرار أنه يفسد العقل والبدن(٤).

ومن جملة مساوئ الدخان أيضًا أنه يتنافى مع سلوكيات النظافة والطهارة التي أوجبها الإسلام على كل مسلم، فهو يلوث الظاهر والباطن

---

(١) نصيحة الإخوان باجتناب الدخان، ورقة ٦؛ التمنارتي: مصدر سابق، ص٤٨١.

(٢) إبراهيم اللقاني: مخطوطة سابقة، ورقة ٥.

(٣) المخطوطة السابقة، ورقة ٥، ٦؛ التمنارتي: مصدر سابق، ص٤٨١.

(٤) إبراهيم اللقاني: مخطوطة سابقة، ورقة ٦؛ التمنارتي: مصدر سابق، ص٤٨١.
إن هذه الأضرار التى أبرزها العلماء الذين أفتوا بتحريم تدخين التبغ أكدتها الدراسات الطبية الحديثة؛ فهناك الكثير من الأضرار الصحية التى تصيب المدخنين، فهناك أكثر من أربعة آلاف مادة كيميائية على شكل مواد وغازات معظمها سام ومضر بصحة الجسم، وهذه المواد يمتد ضررها لكل من يستنشق الدخان بطريقة لا إرادية، وهو ما يعرف بالتدخين السلبى. انظر، خالد العبيدي: قصة التدخين الكاملة تاريخه– أثره– شرعيته– علاجه، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧، ص١٠٨، ١٠٩.

المأمور بتنظيفهما شرعًا وعادة ومروءة[١]، بالإضافة إلى نتن ريحه وأذيته لمن يشمَّه أو يجلس بجوار من يدخنه[٢].

ومن مساوئ التدخين أيضًا إفساد الأموال وإتلافها في شراء التبغ الذي أقبل على شرائه وتدخينه علية القوم والسلاطين؛ فأصبح ثمنه غاليًا، بل ويُفهم من سؤال قاضي تنبكت أن هذه الطبقة من علية القوم والسلاطين قد احتكرت تجارة التبغ؛ مما أدى إلى ارتفاع سعره. وأخيرًا فإن التبغ يشغل مدخنيه عن الصلاة والخيرات والعبادات[٣].

وعمومًا؛ فإنه نتيجة لتلك الآثار السلبية لتدخين التبغ، أثيرت المسألة بين الفقهاء، وكان أول من أثارها من فقهاء صنغي هو قاضي تنبكت محمد بن عبد الرحمن، وحدث خلاف فقهي حول حكم تدخين التبغ، من المهم أن نعرض له.

ثالثًا- الخلاف الفقهي حول ظاهرة تدخين التبغ في السودان الغربي:

يلاحظ أن بداية إثارة السؤال حول ظاهرة تدخين التبغ في بلاد السودان الغربي كانت من طرف أحد الفقهاء المعارضين لتدخين التبغ، وهو قاضي تنبكت محمد بن عبد الرحمن، نتيجة استياءه من تفشي تلك الظاهرة، أما المؤيدين، ويمثلهم الفقيه أحمد بابا التنبكتي الذي كان مدخنًا للتبغ فلم يشغلهم إثارة المسألة، ومن ثم برز موقف أحمد بابا من المسألة كرد فعل على فتاوى القائلين بتحريم التبغ.

فقد أحدثت رسالة قاضي تنبكت محمد بن عبد الرحمن إلى الفقيه سالم

---

(١) إبراهيم اللقاني: مخطوطة سابقة، ورقة ٦؛ التمنارتي: مصدر سابق، ص٤٨١.

(٢)إبراهيم اللقاني: مخطوطة سابقة، ورقة ٦.

(٣) المخطوطة السابقة، نفس الورقة.

السنهوري حول حكم تدخين التبغ صدىً واسعًا ظهر بوضوح في بعض الرسائل والفتاوى حول تدخين التبغ في بعض بلدان مشرق العالم الإسلامي ومغربه، بين مؤيد ومعارض[١]، وخاصة بعدما أجاب الشيخ سالم السنهوري على سؤال قاضي تنبكت بأنه لا يجوز زراعة أشجار التبغ، ولا تدخين أوراقها، ولا الإتجار فيها، وأنه يجب على ولي الأمر معاقبة من يخالف ذلك[٢].

---

(١) ابن أبي محلى: مصدر سابق، ص ١٦٥.

(٢) المصدر السابق، ص ١٦٥.

اتفق مع تلك الفتوى كل من شيخ الإسلام أحمد السنهوري البهوتي الحنبلي، وشيخ المالكية إبراهيم اللقاني (٩٦٠- ١٠٤١هـ/١٥٥٢-١٦٣١م) الذي ألف في تلك المسألة رسالة عنوانها "نصيحة الإخوان باجتناب الدخان". انظر ابن أبي محلى: مصدر سابق، ص ١٥٠، ١٥١؛ إبراهيم اللقاني: مخطوطة سابقة، ١٦ ورقة؛ المنقور: مصدر سابق، ص ٨١.

أما الذين خالفوا رأي قاضي تنبكت محمد بن عبد الرحمن، وأفتوا بجواز تدخين التبغ من علماء مصر، فمنهم علماء مالكية أمثال الشيخ أحمد الكلبي المالكي (المتوفى عام ١٠٢٧هـ/١٦١٧م). والفقيه نور الدين الأجهوري (٩٦٧-١٠٦٦هـ/١٥٦٠-١٦٥٦م) الذي ألف رسالة سماها "غاية البيان لحل شرب ما لا يُغَيِّب العقل من الدخان"، وقال "وبذلك أفتى من يُعتمد عليه من أئمة الحنفية والشافعية والحنابلة والمالكية". وممن أجاز تدخين التبغ أيضًا الشيخ عبد الله بن محمد النحريري الحنفي (من أهل القرنين ١٠، ١١هـ). ومن فقهاء الشافعية المصريين الذين أجازوا دخان التبغ، كل من الشيخ ابن قاسم والشيخ علي الزيَّادي الشافعي (المتوفى عام ١٠٢٤هـ/١٦١٤م)، والشيخ عبد الرؤوف المُنَاوِي الشافعي (٩٥٢- ١٠٣١هـ/١٥٤٦-١٦٢١م)، والشيخ محمد الشَّوْبَري الشافعي (٩٧٧-١٠٦٩هـ/١٥٧٠-١٦٥٩م)، وغيرهم. ومن علماء المذهب الحنبلي بمصر الذين أيدوا جواز تدخين التبغ، الشيخ مرعي الحنبلي (المتوفى عام ١٠٣٣هـ/١٦٢٣م). فهؤلاء جميعًا أفتوا بتحليل الدخان طالما أنه لا يذهب العقل ولا يسبب الضرر. انظر ابن أبي محلى: مصدر سابق، ص ١٥٠؛ الأجهوري: غاية البيان لحل شرب ما لا يغيب العقل من الدخان، مخطوطة محفوظة ضمن مخطوطات جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، تحت رقم ٣١٠٦ز، ورقة ١، ٢، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠.

لقد حاول الفقيه المغربي أحمد بن أبي مَحَلِّي (٩٦٧-١٠٢٢هـ/١٥٦٠-١٦١٣م)، والذي كان مدخنًا إقناع عدد من علماء مصر بالفتوى بجواز تدخين التبغ[١]، وفي مسعاه هذا عارض فتوى قاضي تنبكت[٢]، واستنكر ذكر اسمه، فنعته بالسوداني، بل وهاجمه بأنه يفتي دون علم وأن أدلته واهية، كما وصف فتوى الشيخ سالم السنهوري التي حرمت تدخين التبغ بأنها "اكتفت بالعموميات"، وهذا يعني التأثير الكبير الذي تركته فتوى قاضي تنبكت، وفتوى الشيخ سالم السنهوري في هذا الموضوع. أيضًا حاول ابن أبي مَحَلِّي تجميع الفتاوى من بعض الفقهاء تجيز تدخين التبغ، وأراد حمل الفقيه سالم السنهوري على تغيير فتواه نظرًا لمكانة السنهوري كونه شيخ المالكية في مصر، إلا أن الأخير لم يجبه إلى طلبه حتى توفي عام (١٠١٥هـ/١٦٠٦م)، فما كان منه إلا أن قام بجمع بعض الفتاوى التي

(١) انفرد اللقاني بالقول بأن دخول الدخان إلى مصر كان على أيدي رجل من أهل تافيلالت ويدعى أحمد بن أبي مَحَلِّي السجلماسي، أثناء رحلته الحجازية الثانية عامى ١٠١٣-١٠١٤هـ/ ١٦٠٤-١٦٠٥م. ولهذا أطلق عليه اللقاني، أحمد بن عبد الله الخارجى سفاك الدماء، ولا نتفق مع هذا الرأي؛ لأن الظاهرة جرى السؤال حولها منذ عامى ١٠٠٠هـ و١٠٠٥هـ؛ فالسبب وراء اتهام ابن أبي مَحَلِّي بهذا هو تدخينه للتبغ، وجمعه للآراء القائلة بحليته، ونقده لمن خالفوا ذلك. انظر: نصيحة الإخوان باجتناب الدخان، ورقة ٥؛ محمد حجى: مرجع سابق، ص٢٤٧.

(٢) يلاحظ أن الأستاذ عبد المجيد القدوري محقق رحلة الإصليت الخريت لابن أبي محلى قد جانبه الصواب حينما ذهب إلى أن الفقيه أحمد بابا التنبكتى هو الذي نعته ابن أبي محلى "بالسوداني" وهاجم فتواه وانتقدها. وقد علق القدوري على ذلك بأن ابن أبي محلى اتسم أسلوبه بالتقصير في حق العالم السودانى، وأنه اتخذ موقفًا سلبيًا تجاهه، بل إنه لا يستعمل اسمه كاملًا لأنه عارضه في استعمال التبغ. انظر كتاب الإصليت، حواشى المحقق رقم: ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٨٢، ص ١٤٧، ١٤٨. والصواب هو أن المنعوت "بالسودانى" عند ابن أبي محلى هو قاضى تنبكت محمد بن عبد الرحمن، وليس أحمد بابا؛ بدليل أن أحمد بابا لم يكُ معارضًا لتدخين التبغ بل أجازه وكان من مدخنيه؛ أما القاضى محمد بن عبد الرحمن فهو الذي أفتى بتحريم تدخينه.

تزكي وجهة نظره في كتاب الإصليت[١].

أما بالنسبة لمعارضة فتوى القاضي التنبكتي محمد بن عبد الرحمن من قبل علماء صُنغي فقد تصدى لهذا الأمر الفقيه أحمد بابا التنبكتي الذي لم يكتف فقط بمعارضة فتوى مواطنه، بل هاجمه[٢]. والملاحظ أن أحمد بابا لم يكتب عن المسألة إلا أثناء وجوده فى المغرب، بعدما اقتيد إلى مراكش أسيرًا على أثر الغزو السعدى، وأقام هنالك في الفترة ما بين عامي ١٠٠٢ – ١٠٠٤هـ/١٥٩٣-١٥٩٥م[٣]، ولم يتحدث فى مسألة التبغ إلا بعد استفتاء بعض طلبة مدينة درعة له حول حكم تدخين التبغ[٤].

رد أحمد بابا ردًا مفصلًا فى كراسة أطلق عليها اسم "اللمغ فى الإشارة لحكم التبغ"[٥]. وأشار إلى أن هذه المسألة شغلت علماء العصر آنذاك فى مصر وغيرها من البلدان الإسلامية، وأنه استفتى حول هذه النازلة من عدد من الفقهاء المغاربة[٦] أثناء إقامته بمراكش، منهم قاضي مدينة درعة الفقيه أحمد

---

(١) الإصليت، ص ١٤٧، ١٤٨.

(٢) اللمغ في الإشارة لحكم تبغ، ورقة١٣١؛ محمد حجى: مرجع سابق، ص ٢٥٣، ٢٥٤.

(٣) انظر أحمد بابا: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، حققه محمد مطيع، المملكة المغربية، ٢٠٠٠، ج٢، ص ٢٨٣؛ البرتلى: مصدر سابق، ص٣٤.

(٤) أحمد بابا التنبكتى: اللمغ في الإشارة لحكم تبغ، ورقة ١.

(٥) ورد عنوان هذه الرسالة عند البرتلى، باسم "اللمع في الإشارة في حكم طبغ". انظر فتح الشكور، ص٣٦.

(٦) كان الكثير من علماء المغرب يستفتون أحمد بابا التنبكتى كلما استصعبوا أمرًا أو مسألة، ونتيجة لعظم مكانته؛ فبالرغم من فتواه بتحليل تدخين التبغ؛ لم يشأ التمنارتي أن يهجوه أو ينتقده مثلما فعل بأغلب من أفتوا بجواز تدخين التبغ، وقد قال عنهم منتقدًا " ليسوا بأهل ردٍ ولا قبول، وإلا الفقيه المحدث أحمد ابن الحاج أحمد بن عمر السودانى المعروف ببابا، وهى ذلة منه وغفلة". انظر: الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة، ص ٥٠٠، ٥٠١؛ هشام بلمسرحة: جوانب من العلاقات الثقافية بين المغرب السعدي والسودان الغربي، مجلة ليكسوس الإليكترونية، العدد ٢٥، أكتوبر ٢٠٢٠، ص٤٠؛ سحر عنتر: مرجع سابق، ص ٢٦٤، ٢٦٥.

ابن محمد البوسعيدى (المتوفى عام ١٠١٦هـ/١٦٠٧م)، وقاضي مدينة فاس ومفتيها أبو الحسن على بن عمران (المتوفى عام ١٠١٨هـ/١٦٠٩م)، وقد أفتاهم أحمد بابا جميعًا باتفاقه مع الذين ذهبوا إلى جواز تدخين التبغ[١].

واستدل أحمد بابا في فتواه بجواز تدخين القليل من التبغ، أن أشياخه أفتوا بذلك، ومن جملتهم شيخه الإمام محمد بغيع[٢]. وبالنظر في ترجمة أحمد بابا لشيخه محمد بغيع، يتبين أن آخر لقاء جمعهما كان "يوم الكائنة الكبرى بتنبكت"، أي أثناء الغزو السعدي لها عام ١٠٠٠هـ/١٥٩١م، ثم علم فيما بعد بوفاة شيخه عام ١٠٠٢ هـ/١٥٩٣م وكان أحمد بابا وقتها أسيرًا في مراكش، وهذا يعني أنه استفتى شيخه محمد بغيع حول تدخين التبغ قبيل حدوث الغزو السعدي لمملكة صنغي أو وقت حدوث هذا الغزو على أقصى تقدير، أي في نهاية القرن العاشر للهجرة، ورغم ذلك لم يكتب شيئًا عن هذه المسألة رغم كثرة مؤلفاته، ولم يشرع في ذلك إلا بعد كثرة الجدل الدائر حول التبغ في العالم الإسلامي[٣].

وبهذا فإن أحمد بابا أثار المسألة في وقتٍ متأخر بهدف الرد على المفتين بتحريم تدخين التبغ؛ فبالرغم من نقاشه مع علماء تنبكت ومنهم شيخه محمد بغيع في نهاية القرن العاشر للهجرة، إلا إنه لم يُدل بدلوه في هذه المسألة إلا في أثناء إقامته بالمغرب الأقصى حينما سئل هناك عنها[٤]؛ فاضطر للرد، وأفتى بجواز تدخين التبغ في الوقت الذي بدأت تظهر فيه الفتاوى القائلة بتحريمه، وهذا يؤكد ما سبق قوله أن بداية الظاهرة تسبق الوقت الذي أثير فيه الحديث حولها.

---

(١) اللمغ في الإشارة لحكم تبغ، ورقة١٣٧.

(٢) الرهوني: مصدر سابق، ج٣، ص٤٤.

(٣) إبراهيم اللقاني: مخطوطة سابقة، ورقة ٥.

(٤) البرتلي: مصدر سابق، ص٢٨.

لقد جاء رد أحمد بابا بعد أن أصبح لظاهرة تدخين التبغ صداها في بلاده بالإضافة إلى بلدان المشرق والمغرب الإسلامى عمومًا مع نهاية القرن العاشر للهجرة، بدليل ما ذكره الشيخ عبد القادر بن محمد الحسينى الطبري المكى (٩٧٦- ١٠٣٣هـ/١٥٦٨-١٦٢٣م) بقوله "قد ظهر في هذه الأزمان القريبة نبات يسمى التنباك، ويقال له طابة، وتتن"[١]. ويؤكد ذلك ما ذكره الشيخ إبراهيم اللقاني المصري المالكي حينما ذهب إلى أن ظاهرة تدخين التبغ نزلت في أواخر القرن العاشر للهجرة[٢].

وعمومًا اتفق أحمد بابا في فتواه مع الفتاوى التي أجازت تدخين التبغ طالما أنه لا يفسد العقل ولا يغيبه، واستدل في فتواه بما بينه الإمام شهاب الدين القرافي (المتوفى عام ٦٨٤هـ/١٢٨٥م) في الفرق بين المسكر، والمُرَقِّدُ (وهو المخدر)[٣]، والمفسد. أما المسكر فهو ما غيب العقل دون الحواس مع نشوة وفرح كالخمر[٤]، والمفسد هو ما غيب العقل دون الحواس بغير حدوث نشوة وفرح كعسل البَلَادِرِ، أما المرقد فهو ما غيب العقل والحواس كالسِّيْكَرَانِ[٥].

وانتهى أحمد بابا في فتواه إلى القول بأن التبغ بما أنه غير مسكر، فهو ليس محرمًا[٦]. كما أكد على أنه لو عرضت مسألة شجرة التبغ على قاعدة المفسد والمرقد عند القرافي؛ فسيتضح أنها غير مفسدة ولا مرقدة، وغير مفسدة

---

(١) عبد القادر الطبري: مخطوطة سابقة، ورقة ٢.

(٢) نصيحة الإخوان باجتناب الدخان، ورقة ٢.

(٣) إبراهيم اللقاني: مخطوطة سابقة، ورقة ١.

(٤) أحمد بابا التنبكتى: اللمغ في الإشارة لحكم تبغ، ورقة ١٠٣، ١٠٦؛ إبراهيم اللقانى: مخطوطة سابقة، ورقة ١.

(٥) إبراهيم اللقاني: مخطوطة سابقة، ورقة ١.

(٦) اللمغ، ورقة ١٠٥، ١٠٦؛ إبراهيم اللقاني: مخطوطة سابقة، ورقة ١٣.

للوضوء، فهى ليست كالخمر ولا توصف بصفاته، ولو أفسدت في النادر واحدًا من مائة أو من ألف حرمت عليه دونهم، وبالتالي فإن من قال بحرمتها فقد أفتى بلا موجب ولا دليل[١].

كما إن ابن أبي مَحَلِّي، وأحمد بابا التنبكتي حينما عارضا فتوى تحريم تدخين التبغ للقاضي محمد بن عبد الرحمن، ساقا أسبابًا أخرى لرفضهما تلك الفتوى، وتتمثل في اتهامهما لقاضي تنبكت بعدم أهليته لمثل هذه الفتوى، وطعنا في الأدلة التي استدل بها[٢]، كما إن أحمد بابا عاب على القاضي محمد بن عبد الرحمن -وهو مالكي المذهب كسائر أهل السودان الغربي- نقله عن بعض شيوخ الشافعية "فكيف له وهو مالكي أن يفتي بمذهب غيره"، وعدَّ أحمد بابا هذا من قبيل التهور والتجاسر؛ هذا في حين أن أحمد بابا نفسه وهو مالكي حين أفتى بجواز التدخين نقل بعض الاستدلالات من كتب الشافعية. وعلى أي حال أوصى أحمد بابا بألَّا يؤخذ بفتوى قاضي تنبكت قائلًا: "إنه تكلم بغير علم وتعاطى ما ليس له بأهل، فيجب ألا يلتفت إليه، إذ لم يأت بحجة عليه، فكلامه ساقط؛ إذ هو فيه لاغط"[٣].

وهكذا أفتى بعض الفقهاء بجواز تدخين التبغ وعارضوا فتاوى القائلين بتحريمه، واتهموا بعضهم بعدم أهليتهم للفتوى وتجاسرهم عليها؛ مستدلين في فتاواهم بأن الدُخان لا يغيب العقل، وأنه لا يترتب عليه مفسدة، وليس هناك ضرر من تدخينه، بل إن أحمد بابا التنبكتي في

(١) أحمد بابا: اللمغ، ورقة ١٠٥، ١٠٦؛ إبراهيم اللقاني: مخطوطة سابقة، ورقة ١٤؛ التمنارتي: مصدر سابق، ص ٥٠١؛ هشام بلمسرحة: مرجع سابق، ص٤٠؛ سحر عنتر: مرجع سابق، ص ٢٦٤، ٢٦٥.

(٢) انظر، الإصليت، ص ١٤٧، ١٤٨؛ اللمغ في الإشارة لحكم تبغ، ورقة ١٣٦.

(٣) اللمغ في الإشارة لحكم تبغ، ورقة ١٣١؛ محمد حجي: مرجع سابق، ص ٢٥٣، ٢٥٤.

ختام رسالته حول حكم تدخين التبغ أشار إلى المزاعم التي تؤكد فوائد الدخان التي سبق الإشارة إليها.

وبالنظر في فتاوي المحللين والمحرمين لدخان التبغ يلاحظ أن تلك الفتاوى دائرة حول الضرر إثباتًا ونفيًا؛ فمن ثبت عنده الضرر أفتى بالتحريم، ومن أنكر وجود الضرر، بعضهم أفتى بالتحليل معللًا، ومنهم من نادى بترك التدخين بدافع التورع، وقد استنكر أحمد بابا ذلك الدافع[1].

ويظهر مما تقدم أن الفقهاء الذين أجازوا تدخين التبغ، تسرعوا في إصدار فتواهم، لأنهم كانوا من المدخنين، كما إن بعضهم لم يكن يعلم ضررها وقتئذٍ، والبعض الآخر رأى أن تدخين القليل من التبغ لا يسبب أي ضرر؛ ولذلك أفتوا بجواز تدخينه ما دام لا يذهب بالعقل، ولا يسبب ضررًا لصحة الإنسان. وقد وقع مثل هذا الاختلاف بين الفقهاء حينما ظهرت القهوة في المشرق الإسلامي خلال القرن التاسع للهجرة، فاختلفوا في حلها وحرمتها[2]؛ بناء على اختلاف الأسئلة المرفوعة إليهم فيها؛ إذ ذُكر في بعضها "أنها مسكرة مغيرة للعقل"، ولم يذكر البعض الآخر ذلك؛ فلما لوحظ بالتجربة أنها لا تسكر، رجع جمع ممن أفتي بالتحريم إلى إجازة شربها[3]. وعلى أية حال؛ فمن المؤكد أن آراء العلماء الذين أفتوا بجواز تدخين التبغ قد أثرت في زيادة عدد مدخنيه.

---

(١) أحمد بابا التنبكتي: اللمغ في الإشارة لحكم تبغ، ورقة ١٠٥.

(٢) إبراهيم اللقاني: مخطوطة سابقة، ورقة ٢.

(٣) الغزي: الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٧، ج٢، ص ١١٢.

خاتمة:

انتهت هذه الدراسة حول ظاهرة تدخين التبغ في مجتمع السودان الغربي منذ الربع الأخير من القرن التاسع للهجرة حتى سقوط مملكة صُنغي، إلى عدد من النتائج المهمة، منها:

توصلت الدراسة إلى أن ظاهرة تدخين التبغ في بلاد السودان الغربي ترجع إلى الربع الأخير من القرن التاسع للهجرة، وهذا يسبق الجدل الفقهي حول الظاهرة، الذي حدث أواخر القرن العاشر ومطلع القرن الحادي عشر للهجرة، ومن ثم فإن ظهور التبغ في السودان الغربي يسبق الحديث عنه في المصادر بأكثر من قرن من الزمان.

أبرزت الدراسة نجاح جهود الآثاريين في اكتشاف الأدوات المستخدمة في التدخين، وهي الأنابيب، ويرجع أقدم اكتشاف لها في بلاد السودان الغربي إلى العقد الأول من القرن العاشر للهجرة. وفي ضوء ذلك أوضحت الدراسة أن معرفة السودانيين لتدخين التبغ تسبق هذه المكتشفات.

بالرغم من أن المصادر المتاحة لم تفصح عمن أدخل التبغ إلى بلاد السودان الغربي عامة ومملكة صنغي خاصة، برهنت الدراسة على أن البرتغاليين كان لهم الدور الأبرز في معرفة مجتمع السودان الغربي لتدخين التبغ، فهم الذين أدخلوا نبات التبغ إلى تلك البلاد نتيجة لعدة اعتبارات، أهمها استقرارهم على سواحل البحر المحيط (الأطلنطي) المصاقب لبلاد السودان الغربي منذ بدايات النصف الثاني من القرن التاسع للهجرة، كما إنهم جلبوا بذور التبغ إلى تلك البلاد، فصار يزرع فيها.

ثبت من خلال الدراسة أن ظاهرة تدخين التبغ حققت ثراءً للقائمين على زراعة التبغ وتجارته، بل واحتكر البعض تجارته نتيجة أرباحه الكبيرة، وأصبح

السودان الغربي مصدرًا للتبغ الذي انتشر في كثير من بلدان العالم الإسلامي وخاصة المغرب ومصر. ورغم غلاء ثمن التبغ؛ فإنه وجد إقبالًا كبيرًا من عامة المجتمع وخاصته نتيجة ما أشيع من مزاعم حول فوائده، ونتيجة فتاوى بعض الفقهاء بجواز تدخينه وإقبال هؤلاء الفقهاء على تدخينه.

أوضحت الدراسة وجود عدد من الآثار السلبية لتدخين التبغ في مجتمع صُنغي، ومنها قيام البعض بزراعة هذا النبات نتيجة الطلب المتزايد عليه، والأرباح المادية التي كان يحققها، هذا فضلًا عن الآثار السلبية الناجمة عن تدخين التبغ من أوبئة وأمراض، وغيرها.

وأخيرًا أبرزت الدراسة الخلاف الفقهي الذي دار حول حكم تدخين التبغ، وتبين أن أدلة المؤيدين والمعارضين دارت حول الضرر الناتج عن التدخين، فبعض الفقهاء الذين أقبلوا على تدخين التبغ جادلوا بأن تدخين القليل منه لا يسبب ضررًا، كما إنه لا يذهب بالعقل، ولذلك أفتوا بحليته.

* * *

خريطة لممالك السودان الغربي: غانة، ومالي، وصُنغي[١]

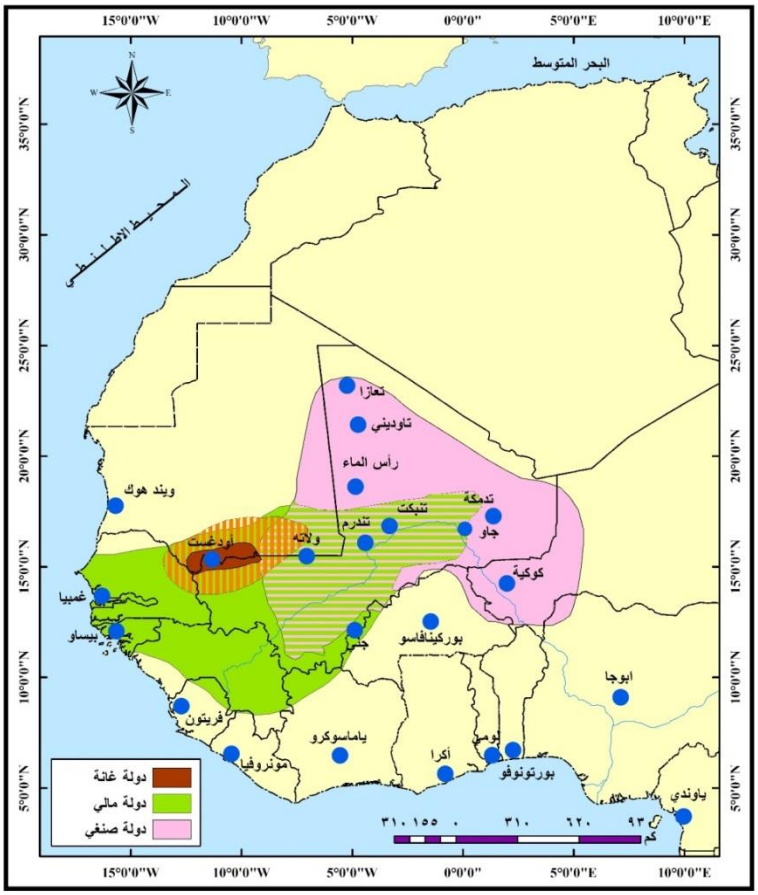

(1) Conrad, D: Empires of medieval West Africa Ghana, Mali, and Songhay, Acid-Free Paper, U.S.A, 2005, P.135.

صورة لبقايا أنابيب تدخين التبغ المكتشفة في حفائر مدينة تنبكت(١)

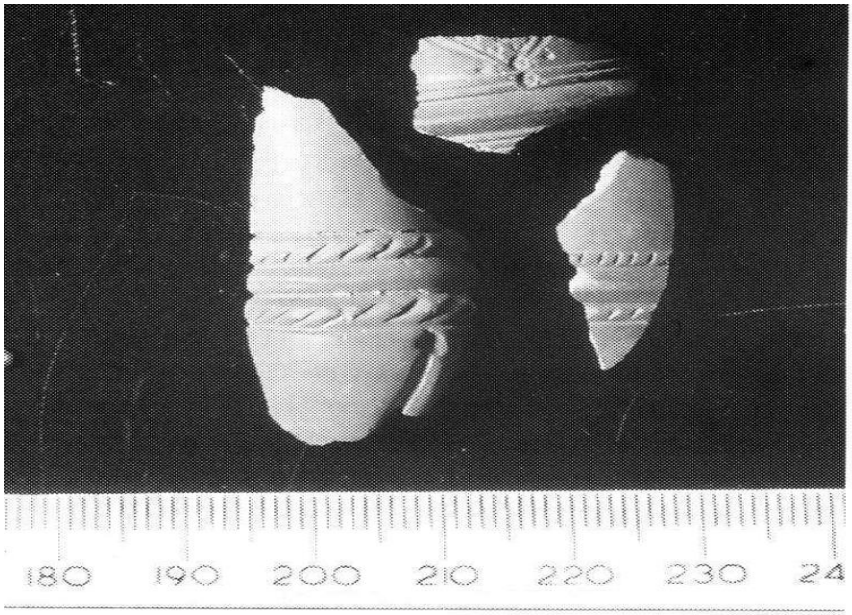

(1) Insoll, Timothy: Archaeological research in Timbuktu, Mali, p.416.

صورة لبقايا غلايين التبغ المكتشفة في موقع مدينة جني[١]

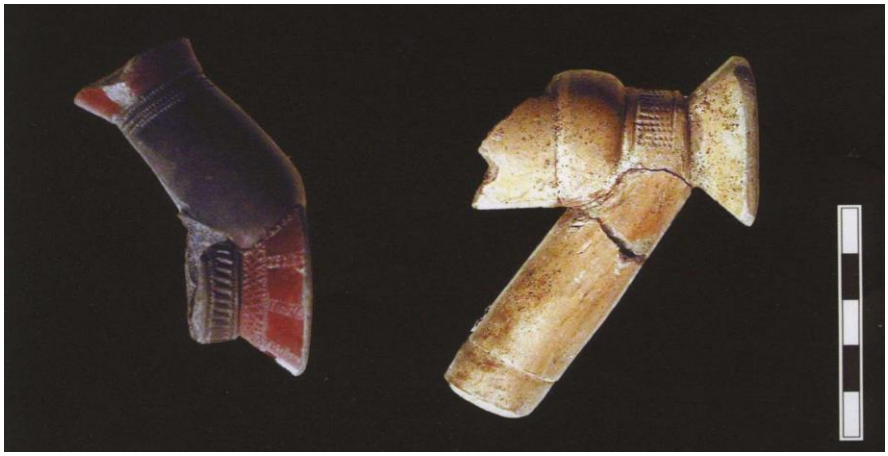

(1) McIntosh, Susan Keech, Gallagher, Daphne & McIntosh, Roderick. J: Op.cit, p.199.

نص السؤال الذي وجهه قاضي تنبكت محمد بن عبد الرحمن للفقيه سالم السنهوري[1]

(١) إبراهيم اللقاني: مخطوطة سابقة، ورقة ٥.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا- المصادر العربية والأجنبية:

أ- المصادر العربية المخطوطة:

الأجهوري (علي بن محمد بن عبد الرحمن بن علي، أبو الإرشاد، ت ١٠٦٦هـ/١٦٥٦م):

١- غاية البيان لحل شرب ما لا يغيب العقل من الدخان، مخطوطة محفوظة ضمن مخطوطات جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، تحت رقم ٣١٠٦ز.

أحمد بابا (أحمد بن أحمد بن عمر أقيت التنبكتي، ت ١٠٣٦هـ/١٦٢٧م):

٢- أسئلة في المشكلات، مخطوطة محفوظة بالخزانة العامة بالرباط، ضمن مجموعة رقم ٤٧٠ ك، من ورقة ١١٨ ظ إلى ورقة ١٤٠و.

٣- أسئلة إلى علماء مصر، مخطوطة مصورة من المكتبة الوطنية بباريس، تحت رقم ٥٨٣٢.

٤- اللمغ في الإشارة لحكم تبغ، مخطوطة محفوظة ضمن مجموع، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود بالدار البيضاء، المملكة المغربية، تحت رقم ٣٢٦/ ٨.

إبراهيم اللقاني (برهان الدين أبو الأمداد إبراهيم بن حسن اللقاني المصري، ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م):

٥- نصيحة الإخوان باجتناب الدخان، مخطوطة محفوظة بالمكتبة المركزية، جامعة الإمام محمد بن سعود، المملكة العربية السعودية، تحت رقم ٥٠٣٣.

السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ت ٩١١هـ/١٥٠٥م):

٦- رسالة إلى ملك التكرور، مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية، تحت رقم ٤١٦، ميكروفيلم رقم ٤٧٥٩.

عبد القادر الطبري (محيي الدين أبو بكر عبد القادر بن محمد الحسيني، ت ١٠٣٣هـ/١٦٢٣م):

٧- رفع الاشتباك عن تناول التنباك، مخطوطة محفوظة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات

الإسلامية، الرياض، تحت رقم ب ٤١٣٦٦.

ب- المصادر العربية المطبوعة:

أحمد بابا (أحمد بن أحمد بن عمر أقيت التنبكتي، ت ١٠٣٦هـ/١٦٢٧م):

١- كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، حققه محمد مطيع، المملكة المغربية، ٢٠٠٠.

٢- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق الدكتور علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠٤.

ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن الجزري، ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م):

٣- الكامل في التاريخ، حققه عمر عبد السلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧.

الاصطخري (أبو القاسم إبراهيم بن محمد الفاسي، ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م):

٤- المسالك والممالك، تحقيق محمد صابر عبدالعال، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، القاهرة، ١٩٦١.

البرتلي (أبو عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق، ت ١٢١٩هـ/١٨٠٤م):

٥- فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، حققه محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨١.

البكري (أبو عبيد الله بن عبد العزيز، ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م):

٦- المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.

٧- جغرافية الأندلس وأوربا: من كتاب المسالك والممالك، حققه عبد الرحمن الحجي، دار الإرشاد، بيروت، ١٩٦٨.

التمنارتي (أبو زيد عبد الرحمن، ت ١٠٦٠هـ/ ١٦٥٠م):

٨- الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة، حققه اليزيد الراضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧.

الحميري (محمد بن عبد المنعم الحميري، ت ٩٠٠هـ/١٤٩٤م):

٩- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٥.

ابن حيان (حيان بن خلف بن حسين بن حيان الأموي، ت ٤٦٩هـ/١٠٧٦م):

١٠- المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق محمود علي مكي، القاهرة، ١٩٧١.

ابن الخطيب (لسان الدين بن الخطيب، ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م):

١١- أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، ١٩٥٦.

ابن خلدون (عبد الرحمن بن أبي محمد بن الحسن، ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م):

١٢- العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، وضع المتن والحواشي خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٠.

ابن رسته (أبو علي أحمد بن عمر، ت ٣٠٠هـ/٩١٢م):

١٣- الأعلاق النفيسة، ليدن، ١٨٩٢.

الرهوني (محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف الرهوني، ت ١٢٣٠هـ/١٨١٥م):

١٤- حاشية الرهوني على شرح الزرقاني، المطبعة الأميرية، بولاق، ١٣٠٦هـ.

ابن سعيد المغربي (أبو الحسن علي بن سعيد المغربي، ت ٦٧٣هـ/١٢٧٥م):

١٥- المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤.

١٦- كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت،

الطبعة الأولى، ١٩٧٠.

السعيدي (عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعيدي، ت ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م):

١٧- ملوك السودان أهل سغي وقصصهم وأخبارهم وغزواتهم وذكر تنبكت ونشأتها ومن ملكها من الملوك، تحقيق هوداس وبنوا، مطبعة أنجي، باريس، ١٨٩٨.

السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ت ٩١١هـ/١٥٠٥م):

١٨- الحاوي للفتاوي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٤.

عبد الواحد المراكشي (محيي الدين عبد الواحد بن علي المراكشي، ت ٦٤٧هـ/١٢٤٩م):

١٩- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، حققه صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٦.

ابن عذاري المراكشي (أبو العباس محمد أبو عبد الله، كان حيًا ٧١٢هـ/١٣١٢م):

٢٠- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، حققه كولان وبروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط٣، ١٩٨٣.

العذري (أحمد بن عمر بن أنس، ت ٤٧٨هـ/١٠٨٥م):

٢١- ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الأهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٦٩.

العمري (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى، ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م):

٢٢- التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨.

الغزي (نجم الدين محمد بن محمد الغزي، ت١٠٦١هـ/١٦٥١م):

٢٣- الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٧.

المحبي (محمد أمين بن فضل الله المحبي الحموي، ت١١١١هـ/١٦٩٩م):

٢٤- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار صادر، بيروت، ١٩٨٤.

ابن أبي مَحَلِّي (أحمد بن أبي **مَحَلِّي السجلماسي، ت**١٠٢٢هـ/١٦١٣م):

٢٥- الإصليت الخريت بقطع بلعوم العفريت النفريت، دراسة وتحقيق عبد المجيد القدوري، الرباط، ١٩٩١.

محمد النور بن ضيف الله (ت١٢٢٤هـ/١٨١٠م):

٢٦- كتاب الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان، حققه يوسف فضل حسن، دار التأليف والترجمة والنشر، جامعة الخرطوم، ١٩٧٤.

محمود كعت (ابن الحاج المتوكل كعت الكرمني، ت ١٠٠٢هـ/١٥٩٣م):

٢٧- تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار، دراسة وتعليق آدم بمبا، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ٢٠١٤.

مرعي بن يوسف المقدسي (١٠٣٣هـ/١٦٢٤م):

٢٨- تحقيق البرهان في شأن الدخان الذي يشربه الناس الآن، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٠.

المنقور (أحمد بن محمد بن أحمد بن حمد المنقور، ت ١١٢٥هـ/١٧١٣م):

٢٩- الفواكه العديدة في المسائل المفيدة، شركة الطباعة العربية السعودية، ط٥، ١٩٨٧.

النبتيتي (علي بن عبد القادر، ت١٠٦٠هـ/١٦٥٠م):

٣٠- الدرر البهية في حل ألفاظ الرحبية، تحقيق مصطفى القليوبي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٦.

الوارجلاني (أبو يعقوب يوسف إبراهيم، ت٥٧٠هـ/١١٧٤م):

٣١- الدليل والبرهان، تحقيق سالم بن حمد الحارثي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ١٩٨٣.

الوزان (الحسن بن محمد الوزان، ت ٩٦٠هـ/١٥٥٢م):

٣٢- وصف أفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ودار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٣.

الوفراني (محمد بن الحاج بن محمد بن عبد الله الصغير، ت ١١٥٥هـ/١٧٤٢م):

٣٣- نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، صحح عباراته السيد هوداس، مدينة إنجي، ١٨٨٨.

ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله، ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م):

٣٤- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧.

ج- المصادر الأجنبية المطبوعة:

Azurara, Gomes Eannes de: The chronicle of the discovery and conquest of Guinea, London, 1896- 1899.

Cadamosto, Luis de: Viagens de Luis de Cadamosto e de Pedro de Sintra, Academia Portuguesa da Historia, Lisbon, 1948.

Valentim, Fernandes: Description de la cرَحِمَهُمُ ٱللَّهُte dرَحِمَهَا ٱللَّهُAfrique de Ceuta au Sénégal, Librairie Laros, Paris,1938.

ثانيًا- تقارير الحفائر:

Arazi, Noemie: Tracing history in Dia, in the Inland Niger Delta of Mali - Archaeology, Oral Traditions and Written Sources, PhD degree, University College London, Institute of Archaeology, 2005.

Insoll, Timothy:

- Preliminary results of excavations and surveys at Gao and Timbuktu, October and November 1996, Nyame Akuma, No.47, June. 1997.
- Archaeological research in Timbuktu, Mali, Antiquity, No. 72, 1998.
- The archaeology of post medieval Timbuktu, Smithsonian Institution Libraries, 2002.

McIntosh, Susan Keech, Gallagher, Daphne & McIntosh, Roderick. J: Tobacco pipes from excavations at the Museum site, Jenne, Mali, Journal of African Archaeology, Vol.1, No.2, 2003.

Mvondo, Ossah: La question des pipes archéologiques en Afrique: les nouvelles évidences, West African Journal of Archaeology, 1994.

ثالثًا- المراجع:

أ- المراجع العربية والمعربة:

- **أحمد بك ندى**: حسن الصناعة في علم الزراعة، دار الطباعة العامرة، القاهرة، ١٨٧٧.
- **أحمد الشكري**: الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي، إصدارات المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٩٩٩.
- **جعفر بن إدريس الكتاني**: حكم التدخين وتعاطي المفترات والمخدرات، لبنان، ٢٠١١.
- **الحاج موسى أحمد كامرة**: زهور البساتين في تاريخ السوادين مدونة شعوب غرب أفريقيا في التاريخ والأنساب والأنثروبولوجيا، تحقيق ناصر الدين سعيدوني ومعاوية سعيدوني، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، ٢٠١٠.
- **حماه الله ولد السالم**:
- المجتمع الأهلي الموريتاني: مدن القوافل (١٥٩١-١٨٩٨)، مركز دراسات الوحدة العربية،

.٢٠٠٨

- تاريخ بلاد شنكيطي (موريتانيا) من العصور القديمة إلى حرب شربة الكبرى بين أولاد الناصر ودولة إبدوكل اللمتونية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠.
- **خالد العبيدي**: قصة التدخين الكاملة تاريخه- أثره- شرعيته- علاجه، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧.
- **خليل السامرائي وآخرون**: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، مديرية دار الكتاب للطبع والنشر، الموصل، ١٩٨٦.
- **سحر عنتر**: فقهاء المالكية وآثارهم في مجتمع السودان الغربي في عهدي مالي وصُنغي (٦٢٨-١٠٠٠هـ/١٢٣٠-١٥٩١م)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠١١.
- **سعيد الخوري**: أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، إيران، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.
- **سوزي أباظة**: دراسة حول مخطوطي "أسئلة في المشكلات" و"أسئلة إلى علماء مصر" لأحمد بابا التنبكتي، ندوة البردي والمخطوطات العربية في أفريقيا، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، ٢٦- ٢٧ ديسمبر ٢٠٠١.
- **الشيخ الأمين عوض الله**: العلاقات بين المغرب والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين مالي وصنغي، دار المجمع العلمي، جدة، ١٣٩٨هـ/١٩٧٩م.
- **عبد الأحد السبتي، عبد الرحمان لخصاصي**: من الشاي إلى الأتاي العادة والتاريخ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ١٩٩٩.
- **عبد القادر زبادية**: مملكة سنغاي فى عهد الأسيقيين، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٠.
- **عثمان عنبر**: السجائر والدخان والمخدرات، دار الهدى للتأليف والتحقيق والنشر والتوزيع، ١٩٧٧.
- **عمر أفا**: التجارة المغربية في القرن التاسع عشر البنيات والتحولات ١٨٣٠-١٩١٢، دار الأمان، ٢٠٠٦.

- **فالح حنظل**: العرب والبرتغال في التاريخ، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٩٩٧.
- **فانسينا، ج**: جنوب الكونغو، ضمن كتاب: فجر التاريخ الأفريقي، ألفه نخبة من أساتذة الجامعات البريطانية، ترجمة عبد الواحد الإمبابي، وكالة الصحافة العربية، مصر، ٢٠٢١.
- **فرج زهران**: المسكرات أضرارها وأحكامها دراسة مقارنة في الشريعة الإسلامية، دار مصر للطباعة، ١٩٨٣.
- **لحسن اليوبي**: الفتاوى الفقهية في أهم القضايا من عهد السعديين إلى ما قبل الحماية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٩٩٨.
- **لويس معلوف**: المنجد في اللغة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط١٩، ١٩٥٦.
- **محمد إبراهيم حسن**: دراسات في جغرافية إفريقيا وحوض النيل، مركز الإسكندرية للكتاب، ١٩٩٧.
- **محمد حجي**: الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، مطبعة فضالة، المغرب، ١٩٧٦.
- **محمد عبد الله عنان**: دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، الجزء الرابع، ط٢، ١٩٩٠، والجزء الأول، ط٤، ١٩٩٧.
- **محمد الغربي**: بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الكويت، ١٩٦٠.
- **محمد نافع العشيري**: السوق اللغوية المغربية، دار كتوبيا للنشر والتوزيع، مصر، ٢٠١٩.
- **مصطفى نشاط**: جوانب من تاريخ المشروبات المسكرة بالمغرب الوسيط، منشورات الزمن، المملكة المغربية، ٢٠٠٦.
- **مطير سعد غيث**: الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي، دار المدار الإسلامي، ليبيا، ٢٠٠٥.
- **الناصري**: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٤.

ب- المراجع الأجنبية:

- **Conrad, D**: Empires of medieval West Africa Ghana, Mali, and

Songhay, Acid-Free Paper, U.S.A, 2005.

- **Duvall, Chris. S**: Cannabis and tobacco in precolonial and colonial Africa, in Spear, T (Ed): "Oxford research encyclopedia of African history", Oxford university press, New York, 2017.
- **Goodman, Jordan**: Tobacco in history: The Cultures of dependence, Routledge, 1994.
- **Shillington, K**: Encyclopedia of African history, London, Rutledge, 2004.
- **Thornton, J**: Warfare in Atlantic Africa 1500-1800, London and New York, 1999.
- **Yakouba, Auguste Dupuis**: Industries Et Principales Professions Des Habitants De La Région De Tombouctou, Paris, 1921.

رابعًا- الدوريات العربية:

- **أحمد علي الشحات**: رسالة العلم... السيجارة، مجلة الرسالة، السنة التاسعة، العدد ٤٢١، يناير ١٩٤١.
- **بطل شعبان محمد:** الصلات التجارية لمدينة جاو من خلال تقارير الحفائر الآثارية دراسة للفترة من القرن ٤-٦هـ/١٠-١٢م، حولية كلية الآداب، جامعة بني سويف، المجلد٩، الجزء٢، ٢٠٢٠.

حسين مراد:

- المذهب المالكي في السودان الغربي: ظهوره- انتشاره- سيادته، مجلة وقائع تاريخية، جامعة القاهرة، كلية الآداب، عدد٥، يناير ٢٠٠٦.
- مملكة صنغاي، مجلة قراءات أفريقية، العدد الثالث عشر، رجب-رمضان ١٤٣٣/ يوليو-سبتمبر ٢٠١٢.

- **الشيخ يوسف الجميل**: زراعة التبغ التركي في لبنان، مجلة المشرق، المجلد ١٤، لبنان، ١٩١١.
- **عبد الحميد جنيدي**: مدينة تنبكت (تمبكتو) نشأة المدينة وتطورها، دورية كان التاريخية، السنة ٥، العدد ١٦، يونيو ٢٠١٢.
- **هشام بلمسرحة**: جوانب من العلاقات الثقافية بين المغرب السعدي والسودان الغربي، مجلة ليكسوس الإليكترونية، العدد ٢، س٥، أكتوبر ٢٠٢٠.

خامسًا- الرسائل العلمية:

أ- الرسائل العلمية باللغة العربية:

- **محمد ألفا جالو**: الحياة العلمية في دولة صنغاي خلال الفترة ٨٤٢-١٠٠٠هـ/ ١٤٦٤-١٥٩١م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٣هـ.
- **محمد السنوسي العمراوي**: نظام الحكم والإدارة بمملكة صنغي في عهد الأساكي ٨٩٨ – ١٠٠٠هـ/١٤٩٣- ١٥٩١م، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، ٢٠١١.

ب- الرسائل العلمية باللغات الأجنبية:

- **Keita, Daouda**: Le peuplement de la marge orientale du delta intérieur du Niger au premier millénaire après Jésus Christ, PhD degree, Université Paris, 2011.

سادسًا- مقالات من على شبكة الإنترنت:

- **سيدي أحمد ولد الأمير**: التدخين والشاي بموريتانيا.. تقاطع التاريخ بالأدب والعادات، وزارة الثقافة والشباب والرياضة والعلاقات مع البرلمان، الجمهورية الإسلامية الموريتانية، البحث منشور على الرابط التالي:

https://www.culture.gov.mr/ar/node/144